رحلة السلحفاة

مجموعة قصصية

عبدالله ربيع الحسن

ديوان العرب
للنشر و التوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

اسم العمل : رحلة السلحفاة

اسم المؤلف : عبدالله ربيع الحسن

الجنسية : سوريا

التصنيف الأدبي : مجموعة قصصية

الترقيم الدولي : 978 - 977 – 6707 - 11 – 2

رقم الإيداع : 2019 / 11629

تدقيق لغوي : نجاح العالم السرطاوي

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

رحلةُ السلحفاةِ

السعنُ

سأل الجندي على الحاجز:إلى أين؟.. دس السائق ورقة في يده من فئة المائتي ليرة وقال : إلى الشعار..حلب لم يتكلم الجندي وإنما أشار للسائق بمتابعة مسيره... تكرر هذا المشهد في كل الحواجز التي مررنا بها منذ خرجنا من الحمدانية في حلب إلى أن وصلنا مفرق أثريا....كانت سرعة الباص بطيئة نسبيا بسبب وعورة الطريق وتعرجاته...الركاب الثلاثون الذي كان نصفهم نساء يكررن دائمًا السؤال : أين نحن ومتى نصل ؟...والسائق لا يجيب على هذا السؤال...فقط ينظر أمامه ويوصي معاونه: إياك ثم إياك أن تقول نحن ذاهبون إلى الرقة ....!!..فقط قل إلى حلب الشعار، قم أوصِ الركاب .. يعيد المعاون التوصية التي حفظها الركاب دون أن يعلموا سرها..البعض اعتقد وحلل الوضع الأمني أو العسكري في البلاد وسيطرة القوى المتحاربة وغيره يبتسم السائق ويهز رأسه: وصلنا

مفرق قرية السعن...نزل المعاون إلى الجندي على الحاجز ودس بيده ورقة من فئة الخمسمائة ليرة **500** ل س لكن الجندي رمى الورقة بوجه المعاون ..وأشار بيده لإنزال الحقائب....سكت قليلا.... أمسك المعاون الورقة أضاف لها ورقة أخرى من نفس الفئة وأعطاها الجندي الذي أخذها وهو غاضب يتكلم ويحرك يديه مشيرا إلى القرية.....لم نفهم ماذا قال الجندي ولكن وجه المعاون كان ينبئ بشيء... عند مدخل القرية الجنوبي وقفنا على الحاجز ...كان الجنود يتجولون بين السيارات بالاتجاهين... بسرعات مكوكية وكانوا يحدثون ضجة من صراخ ..وسب وشتم ، أيديهم لا تهدأ... نزل المعاون ودس لأحدهم رزمة من المال ...لكن الجندي فتح يده ....عد المبلغ، التفت إلى المعاون ..ووجه إليه سيلا من الكلام البذيء ...وفجأة ظهر جندي آخر ..هجم على المعاون وصفعه على وجهه ...وقع الشاب...لا يعرف ماذا يفعل أو يقول .... صرخ الجندي بوجه المعاون:أنزل جميع حقائب المسافرين إلى الأرض ، امتثل المعاون وفتح مستودع الباص وأخذ ينزل الحقائب ، صعد الجندي الأول إلى الباص دقق البطاقات الشخصية

للركاب ...دون أن يتحدث ولا كلمة..ثم نزل ...لكن معظم الركاب كانوا خائفين ...ينظرون إلى زميله وهو يصعد فوق الحقائب ....يرقص فوقها وكأنه هندي أحمر.... صعد الجندي القافز إلى الباص ووجه كلاما إلى السائق فيه من البذاءة ما يجرح كرامة أي انسان ، وقبل أن ينزل أمسك بتلابيب السائق قائلا:ابصق في وجهي إن سمحت لك بقيادة هذا الباص بعد الآن... ضحك السائق وقال له :أمرك ..لك ما تريد.. نزل الجندي والسائق، وبعد جولات من المحادثات ...أخذ المعاون بإرجاع الحقائب إلى مستودع الباص، ثم..صعد السائق ومعاونوه ... وتابع المسير... بصق السائق من النافذة بالهواء. كانت عشرة آلاف ل س كافية للمرور من الحاجز....بعد أقل من ثلاثة مائة متر وصلنا إلى الحاجز الثاني...توقفنا ...صعد جندي وسيم مبتسم، تمنى لنا رحلة موفقة، دقق البطاقات الشخصية بشكل لطيف ومهذب وابتسم لكل راكب على حدة. بصراحة كانت ابتساماتنا عريضة جدًا رغم أنوفنا. مشى الباص و رقابنا وأنظارنا مشدودة إلى ذلك الجندي.. بعد عشرين مترًا ...كان الحاجز الثالث ...ثلاثة جنود وطاولة عليها كومبيوتر ...لابتوب. .قبل أن يتوقف الباص

طلبوا البطاقات الشخصية للركاب..من المعاون الذي جمعها بسرعة ونزل إلى تلك الطاولة ...دقق الجنود البطاقات الشخصية ،حملها أحدهم، ضخم الجثة ..حليق الوجه ..أغبر الشعر ..صعد إلى الباص ونادى المعاون قائلا: اجمع لي من هؤلاء ال.....مائتي ل س من كل واحد ماعدا هؤلاء الخمسة...سيدفعون كثيرا...خمسة آلاف من كل منهم نادى الأسماء الخمسة؛ امرأتين، واحدة مواليدها سراقب، والأخرى مواليد الرقة، وطالب جامعي، وشاب يحمل أوراقًا على أنه وحيد لأهله ...ورجل آخر ... نزل الركاب الخمسة ،بعد ربع ساعة، صعد الخمسة ..غاضبين وكأنهم تعرضوا لعملية سطو مسلح... مشى الباص ...كنا ننظر إلى الحاجز الرابع أمامنا...لا يبعد مائة متر...عن مثيله الثالث ثم وصلنا ، استقبلنا الجنود بالزمجرة والصوت العالي و...طلبوا البطاقات الشخصية دققها أحدهم بالباص ...ثم جمعها من الركاب وأخذها إلى غرفة متنقلة هناك قبل أن ينزل الجنود من الباص طلبوا من المعاون جمع ألف ليرة سورية من هؤلاء الركاب ..ال.... أخذ المعاون النقود ولحق بهم...كان شعر وجهه كثيفا... متجهم الوجه، أمر الطالب الجامعي والشاب الوحيد لأهله

بالنزول، ثم توجه إلى النصف الخلفي من الباص...نفس المرأتين ..لم يطلب منهما النزول...فقط طلب من كل واحدة عشرة آلاف ليرة سورية ، أخذت إحداهن بالعويل والبكاء وحلف الأيمان أنها لا تملك هذا المبلغ، صرخ الجندي بوجهها وأسكتها ووجه الكلام لكلا المرأتين :سأنزل قليلا ثم أصعد وآخذ النقود ...وإلا نزل الجندي ...لم يبق في الباص إلا الركاب تابعت المرأة نحيبها ولكن..بعد أقل من دقيقتين صعد نفس الجندي ..توجه إليهما، طالبا المال، حلفت المرأة من جديد ..لكنه صرخ قائلا:اخرجي نقودك أين تخبئينها ...وإلا فتشتك أنا وخلعت عنك ثيابك كما ولدتك أمك.. سكون حزين كئيب ، مذل، هيمن على جميع الركاب ..أحدهم وضع كفيه على أذنيه ، ولكنه سمع. جمعت النسوة في الباص المبلغ كل حسب مقدرتها ... أخذ المال ونزل من الباص ، صعد جندي آخر فتش المقاعد التي يجلس عليها الطالب والشاب الآخر لم يجد شيئًا ، نزل مسرعا ...ثم صعد الشاب الوحيد...طلب من السائق مبلغا من المال على أن يرده عندما يصل، أعطاه السائق..بعد أقل من ساعة ..ظهر الطالب الجامعي وهو يحمل أغراضه بيديه وحقيبته

الفارغة. وتابع الباص ...ننظر بخوف وترقب إلى الحاجز الخامس أمامنا ...بعد مائة متر أخرى، عند الحاجز الخامس ...توقفنا ...لم يطلبوا البطاقات الشخصية من كل الركاب فالأسماء كانت عندهم ..نفس المساكين .. .الطالب والشاب ...المرأتين . ولم يطلبوا من الركاب الخنازير إلا مبلغًا صغيرًا بالنسبة لهم **500**خمسمائة ل س عن كل رأس دفعناها بخوف.

أما المغضوب عليهم فكان الطلب مخففًا هذه المرة **5000**خمسة آلاف عن كل واحد منهم. تعجب الشاب من عناصر الحاجز كيف أجابوه عندما قال لهم: لا أملك مالًا. أجابه الجندي الأشيب ذو الشعر الأبيض واللحية البيضاء : اذهب واستدن من السائق كما استدنت هناك في الحاجز السابق. اكتشف أن الجنود يتواصلون فيما بينهم ويأخذون المعلومات من بعضهم البعض حول وضع الركاب. اكتفى عناصر الحاجز من المرأتين بمبلغ **3000** ثلاثة آلاف ل س عن كل واحدة منهما. وبقي الطالب الجامعي، لا يملك المال، اقترح عليه الرجل الأشيب أن يتطوع معهم ، وأن جمع المال سهل معهم. و أخذه معه إلى

السيارات الأخرى وأراه كيف يعطيه السائقون المال، بكل أدب و لكن الطالب وعده بأن يرجع بعد أن يزور أهله. أحبه ذلك الرجل وأخذ منه تذكارًا الموبايل الذي يحمله، مسكين ذلك الفتى يكاد يبكي كالنساء. بعد مائة متر أخرى كان الحاجز السادس اختصاص هذا الحاجز سيارات الشحن لذلك لم يقف السائق عنده، وتابع سيره بسرعة واحد كم في الساعة ما إن ابتعد بضعة أمتار ، حتى علا الصراخ والقيم البنادق وتوجيهها إلى الباص مسكين السائق سمع من الكلام البذيء الكثير . حقائب المسافرين ملأت الأرض، وما في الحقائب تناثر بعضه، بعد ساعة واحدة فقط تم الصلح بين عناصر الحاجز والسائق بدفع ضريبة عدم التوقف. عناصر الحاجز السابع كانوا لطفاء مهذبين لم يطلبوا شيئًا من الركاب، فقط من السائق ومعاونيه، وخرجنا من السعن توجهنا شمالًا.

****

طريقُ السلحفاةِ

حلبُ

توجهنا شمالًا، يكاد بعضنا يبتسم فرجًا بابتعادنا عن حواجز السطو تلك، هجرت مظاهر الخوف وجوهنا، وضحكت عيوننا وحمدنا ربنا بتجاوز ، هذه الشرذمة من الناس. التفتّ إلى الطالب الجامعي، نظر إليّ ورأى السؤال في عيني ، ابتسم وقال: عندما أصل تلك المدينة سأتدبر أمر وصولي إلى قريتنا ؛ شكرًا لك أستاذ. الشاب الآخر كان فرحًا جدًا ،كان يظن أنه اقترب كثيرًا من أهله، في الخلف همهمة بين النساء وحركة، وبعض الضجة. وذلك بسبب تنبيه المعاون لهن: اقتربنا من حاجز جبهة النصرة، كل واحدة تضع الخمار على وجهها. من بعيد ظهرت أمامنا قرية صغيرة، لايهم اسمها ،في مدخل القرية كان حاجز جبهة النصرة؛ ثلاثة شبان، لحاهم نمت على وجوههم جزرًا لم تغط كامل الوجه. صعد أحدهم إلى الباص، عمره في بداية العشرين، يغطي ذقنه شعر كثيف، وكذلك امتداد

سوالفه حتى منتصف الخد. كان متعلثما: السلام عليكم ، من فضلكم، أخرجوا الهوايا، أقصد: أبرزوا البطاقات الشخصية، لم يبتسم ،أخفينا ابتسامة. ترك الجميع وتوجه إلى الطالب الجامعي وبعد أن دقق أوراقه ، ابتسم وتوجه إلى الشاب الوحيد ، دقق بطاقته الشخصية نظر إلى وجهه، ترك البطاقة بيده ، أمره بالنزول. نزل الشاب الوحيد، بعد قليل قام المعاون بإنزال حقيبة الشاب، وتابع الباص مسيره. قال المعاون :سيأخذونه إلى الفرع العسكري، سيحققون معه، وإذا لم يكن عليه شيء سيوصلونه هم إلى مدينته. إشارات التعجب والاستغراب ارتسمت على وجوهنا جميعًا، جبهة النصرة ،وفرع عسكري ترى أين نحن؟ سمعنا أذان المغرب بعد أن خرجنا من بلدة سنجار ، وبعد زمن قصير وصلنا بلدة معرشورين، وهي تبعد عن معرة النعمان بحدود **3**كم. وكانت الاستراحة حيث أذاع السائق بيانًا للركاب أننا سنبيت هنا هذه الليلة. كان الأمر قاسيًا جدًا عليّ: هل ستستغرق رحلتي من حلب وإلى حلب يومين ؟ شرح السائق: لانستطيع السير بالليل خوفًا من القصف أو الصواريخ الحرارية. كانت ليلة باردة

جدًا وكانت المصيبة أن تنام على كرسي الباص بلا غطاء. بعد أذان الفجر استفاق المسافرون على صوت محرك الباص، الذي تابع السير على أوتوستراد حلب_دمشق ..ذلك الطريق الذي اشتقنا له طويلًا. نزلت في حريتان وتابع الباص رحلته الطويلة إلى الرقة، حيث احتمال مبيتهم في مناطق تل، رفعت ليلة أخرى كما أخبرهم السائق فتكون رحلتهم من حلب إلى الرقة تمتد إلى أربعة أيام تقريبًا. ركبت حافلة توجهت إلى حلب عبر طريق الكاستيللو ...و.. وصلت حلب، يسمونها المحررة وأسميتها المدمرة ، الغبرة تزكم الأنوف، بسبب كثرة البيوت المهدمة والأبنية المخربة، والوجوه الحزينة، رغم الأمل المرسوم في العيون. عندما طرقت الباب جاءني صوت أختي التي غبت عنها سنتين ونحن في مدينة واحدة ،فتحت الباب وقفت، شهقت، نادتني باسمي واحتضنتني.

****

الوداعُ

استيقظ على صوت ابن أخيه يناديه :عمي استيقظ السيارة والشباب جاهزون للانطلاق.
ترك بقية أحلامه في الفراش واتجه إلى الحمام أسبغ الوضوء، لبس ثيابه بصمت قبل الصغيرين اللذين أحبهما كثيرًا وأمعن النظر في وجهيهما متسائلًا: ترى هل أرى هذه المصابيح مرة أخرى ؟
السيارة كانت أمام المنزل ،بيك آب دبل كبين ،ذات حجم كبير ،ملطخة بالطين وبقايا حرب، يجلس من الأمام شابان أحدهما ثلاثيني؛ ضخم، شعر كثيف مجعد يغطي الرأس وبضع جزر في الوجه،أسمر البشرة ، نزق جدًا ، ومرح أكثر.
الثاني؛ شاب وسيم أشقر في نهايات العقد الثالث، تكسو وجهه لحية مقبولة، شعر رأسه قصير ذو قامة طويلة وجسم معتدل يحمل سلاحه ،عرف عن نفسه الملازم همام بشيء من الوجل والارتياب ألقى ظافر التحية، وبدون أن ينتظر الاجابة ولج إلى الكبين الخلفي ،واستقر في أقصى

الزاوية منه وبجانبه عامر وأحمد الإعلاميان انطلقت السيارة، في الشعار كان يتنظر القائد وأحد المقاتلين بكامل أسلحتهم وجوه صارمة، بلحى سوداء كلباسهم الأسود.

شيء من الرعب اقتحم قلب ظافر،لم يظهره ،أدار وجهه إلى النافذة ،يتجنب النظر إليهم ما أمكنه، شغل نفسه بالنظر إلى الدمار والخراب الكبير الذي تعرضت له مدينته الحبيبة، تراجع همام إلى الخلف ومعه المقاتل، وتركوا الكرسي الأمامي للقائد، قفز الإعلاميان عامر وأحمد إلى الخلف واستقرا في صندوق السيارة.

وانطلقت السيارة، كانوا يتحدثون عن المواجهات مع داعش وبطولات البعض،

والخذلان الذي يشعرون به من المجتمع الدولي عامة ومن الأصدقاء خاصة متفقين على أنهم هم وباقي فصائل حلب وحدهم من يقاتل داعش، بينما الآخرون ممن يدعي محاربة داعش لا يكتفي بالوقوف مكتوف اليدين فقط، بل يرسل الأسلحة والمعدات وكل ما يلزم لهذه الجماعة الظالمة داعش...!!!

ازداد الرعب في قلبه ،أخذ يتوقع الأسوأ (ترى لو جاءت

الآن طائرة ...)لم يكمل جملته من الخوف، شعر بالموت قريبًا منه، رص نفسه بشدة إلى باب السيارة حتى التصق به تمامًا (إذا جاءت الطائرة سأفتح الباب بسرعة وأرمي نفسي..)

هذا القرار كان صائبًا في بقية عقله المتناثر الأفكار..

الطريق طويل والمسافة بعيدة، وجهه على النافذة، ينظر إلى السهول و القرى التي يمرون بها، مع الخوف سكن قلبه حزن عميق فهو سيترك بلده الغالي، لم يكن يفكر بالهجرة عندما كان في بيته في الحمدانية الخاضعة لسيطرة النظام، ولكنه لم يعد يحتمل الوضع السيء فيها والمضايقات التي تعرض لها، قرر أن ينتقل إلى المناطق التي تسيطر عليها المعارضة،

وكانت نيته البقاء فيها

في اليوم الأول لوصوله، وبعد أن التقى أختيه، استأذنهما، ذهب إلى منطقة الشعار، وكانت صدمته الكبيرة بالخراب الحاصل في مدينته الحبيبة حلب، أحس بالسائل الساخن يغسل خديه.

أخرج جواله الذكي ليصور هذا الدمار، فجأة شعر بقوتين تتأبطانه، التفت يمينه وشماله، شخصان بشعر طويل

يخاصم المشط وثياب قصيرة،فتح عينيه مشدوها الجوال بيد أحدهما والآخر يدفعه إلى سيارة موحلة، عرفا عن نفسيهما (جبهة النصرة).

تم احتجازه أربع ساعات كان خلالها معصوب العينين، اقتادوه في سيارة مغلقة، أزاحوا العصابة عن عينيه، اعتذروا منه:

(نحن نخاف من الشبيحة والمتعاملين مع النظام ، وأردنا التحقق منك)

لم يجب ، فقط نزل من السيارة وقف تلفت حوله، عرف المكان وعاد إلى بيت أخته ليخبرها أنه حسم أمر رحيله.

قطع السائق حبل الذكريات لظافر حيث

وجه سؤالًا للقائد: (هل نتوقف في اعتزاز ..)لم يجب القائد، أومأ برأسه فقط بالنفي.

مازال ظافر غارقًا في نظراته الطائشة الخراب والدمار في كل مكان، والمخيمات على مساحات كبيرة مترامية الأطراف للنازحين من المناطق التي تتعرض للقصف من طائرات النظام، وطائرات العدو الروسي.

أخيرًا وصلت السيارة إلى المكان المطلوب؛ قرية حور كلس.

جدارُ الظلامِ

بيوت مفتوحة الأبواب، هجرها أهلها طلبًا للأمان بل تم تهجيرهم قسرًا جراء تضاعف الظلم مرات، وكل الظالمين من ذوي القربى الذين هم أشد مرارة، فتركوها وتركوا أثاثاتهم وثيابهم وممتلكاتهم الشخصية وحتى صورهم الحميمية. كان ظافر ينظر حوله لعله يرى أحدًا من سكان هذه القرية، وتنازل حلمه فأراد أن يرى حتى ولو حيوان من حيوانات القرية، بحث عن بقرة أو شاة أو دابة أي كانت وبحث عن كلاب، لا يوجد في القرية غيرهم هؤلاء المقاتلون الخمسة عشر رجلًا؛ يسمون أنفسهم كتيبة أبو اصطيف كلهم شباب تتراوح أعمارهم بين السبعة عشر عامًا إلى الثلاثين كان أبو اصطيف قائدهم ، عملاقًا طويل القامة كثيف شعر الرأس والوجه ابتسم للقادمين وابتدرهم بالترحيب والسلام. القادمون هم القائد العام للفصيل ومعاونوه والإعلاميون عامر و أحمد وظافر ذلك القادم المهاجر ، قدمه الإعلامي عامر بأنه عمه وطلب مساعدتهم لإيصاله إلى الحدود التركية. ابتسم أبو

اصطيف وتوجه إلى ظافر بكلمات الترحيب والبشرى بأنه في المكان الصحيح، وأن أمر مغادرته مرهون بغياب الشمس. نظر ظافر إلى الشمس و زفر زفرة طويلة، فما زالت في منتصف السماء. ضحك الجميع على زفرته وأخذوا يمزحون معه ليرمي بمخاوفه الكثيرة منهم ومن داعش أولئك الأنذال الرابضين في القرية المقابلة، والتي تبعد واحد كيلومتر فقط ازداد خوفه، حاول أن يكون ملاصقًا للجدران بعيدًا عن أعين الدواعشة. ودع الإعلامي عامر عمه وذهب مع قيادته إلى مكان آخر. بقي ظافر مع مجموعة أبي اصطيف، تجمعات الخوف التي سكنت روحه أخذت تتفرق ، وراح يألفهم رويدًا رويدًا. كانوا شبابًا تغلب عليهم البساطة، شعر بهم وبمحبتهم لبعضهم البعض، على الرغم من اكتشافه أنهم ينتمون إلى مناطق مختلفة من سوريا؛ فمنهم الدمشقي ومنهم الحمصي ومنهم اللاذقاني، ومنهم الحسكاوي، ومنهم الديري، والرقاوي، وفيهم فلسطيني واحد. وبعضهم من ريف إدلب والباقي من حلب وريفها. لاحظ أنهم كعائلة واحدة يعرفون بعضهم البعض منذ الأزل، ومتحابون ويكرهون الدواعشة. انتشروا في القرية، بحثوا عن طعام

وماء، منهم من وجد بطاطا ومنهم من وجد بندورة (طماطم) ومنهم من وجد باذنجان، ومنهم وجد خبزًا أو زيتًا أحضروا ما وجدوه وأعطوه لقائدهم أبي اصطيف الذي تولى كل أعمال الطبخ، استأنس ظافر لهم وخاصة ذلك الشاب أحمد اللاذقاني، والذي كان مرافقًا له، يلبي جميع طلبات ظافر ،يحضر له الماء ليتوضأ أو ليغسل يديه عند الطعام، يمشي جانبه في القرية المهجورة ، ليكون دليله، يجلسان جانبه ليتفرجا على زميل له هوايته، نصب الشباك وصيد الطيور، حيث نصب شبكته وكمن ينتظر أن يحط عليها طائر ما...!!! ولعب ظافر كرة القدم مع الشباب، أرسل إليه أبو اصطيف قبل مغيب الشمس وطلب منه حمل حقائبه للرحيل، لم يفرح ظافر للخبر شعر أنه سيفارق أولاده ،ولكن ودعهم وانطلق مع بعضهم في بيك أب صغير ، بين أشجار زيتون متقاربة وأشجار توت وبعض الحمضيات، نزل ظافر من السيارة ليجد العشرات من الناس متوزعين تحت الأشجار ينتظرون الرحيل أوصوا به المهرب الذي أبدى اهتمامه الكبير بظافر وأنه في عيونه ، وغادروا عائدين. جميع الناس المتواجدون كانوا هادئين يتهامسون بصمت، والمهرب

يروح ويجيء بينهم. صوت تركتور لفت انتباههم وراءه شاحنة توجه الناس نحو هذه الوسائط، لكن المهرب وقف أمامهم، وطلب مضاعفة الأجرة وبعد نقاش طويل معه، تنازل وطلب فقط إضافة نصف المبلغ المتفق عليه سابقًا وذلك لدواعي إنسانية منه. وصل الجميع عند نقطة محددة وترجل المهاجرون من التراكتور والشاحنة وجلسوا على الأرض كما طلب منهم المهرب. عند منتصف الليل اتصل مع شركائه في الجانب التركي، أعطوه أمر العبور، طلب المهرب من الناس أن ينطلقوا على دفعات، و أعطاهم تعليمات المسير، والخندق. ظافر في المقدمة يريد أن ينهي هذه المغامرة غير الممتعة، انطلق خلف ذلك الشاب الضخم السريع برفقة صبي المهرب وقف الشاب فجأة وقال: لا ،أخاف من الخندق، تابع ظافر سيره نزل الخندق وصعد من الطرف الثاني بهمة شاب عشريني، أثار حمية الشاب الخائف الذي طرد الخوف من قلبه، مشى ظافر مسافة مائة متر ونظر خلفه، رأى جدارًا عاليًا من الظلام الدامس، ليل مطبق تستحيل الرؤية فيه، أيقن أنه لن يعود، إلا إذا تلاشى هذا الجدار المظلم لم يستطع كبح جماح دموعه.. انطلقت... وانطلق.

قاربٌ مثقوبٌ

مبتسمًا أقبل أحمد، رحب به كثيرًا، أهداه البشرى :
الأمور كلها جاهزة ..واليوم السفر إن شاءالله
افتر ثغر العم ظافر عن ابتسامة باهتة رسمت حالة التعب الذي أصابه من سفره الطويل من يالاوا إلى أزمير تلك المدينة الساحرة، قطع أحمد عليه هدوء التعب وطلب مرافقته إلى الفندق لترتيب أمتعتهما وشراء ما يلزم لأن الموعد في منتصف هذه الليلة .
جلسا في غرفة الحراسة لكراج سيارات بصمت مطبق، ساعة من الزمن كانت بقدر الدهر أن جاء الرجل وأشار لهما بالنهوض، ركبا السيارة التي كان فيها ثلاثة شباب وفتاة بالإضافة إلى السائق ، لايزال الصمت هو السيد، الفتاة إلى جانب أحد الشباب في المقعد الأمامي، وباقي البضاعة في المقعد الخلفي، أجرى أحمد التعارف مع الشباب؛ محمد خريج معهد مصرفي وخالد مهندس اتصالات وفي الأمام فادي مهندس مدني، وهيا خريجة معهد معلوماتية، وكلهم من دمشق.

بادر أحمد وأنا فني أجهزة اتصالات وشبكات ومصمم برامج وهذا العم ظافر مهندس مدني... لم يشارك العم بأي كلمة .يتابع قراءته الخاصة، يشعر بخوف ما؛ فأمامه مجهول لا رؤية واضحة فيه، بعد ساعتين من مغادرتها أزمير توقفت السيارة وطلب من الجميع النزول ليجدوا أنفسهم أمام خليج صغير تحيط به صخور وجبال.

انتظروا هنا، قال السائق وأدار محرك سيارته وغادر ، وضعوا أمتعتهم على رمل الشاطئ ينظرون حولهم بخوف من الظلام الذي يحيط بهم ومن المجهول الذي ينتظرهم، ومن الخوف الخفي من البحر.

توافد أناس كثر معظمهم إيرانيون وأفغان وتجمعوا كتلة واحدة مع بعضهم ...كذلك جاءت جماعات متفرقة منهم سوريون وعراقيون ولبنانيون ومن دول المغرب العربي.

حدثت حركة بين الإيرانيين استطلع محمد وعاد وعلامات التوتر بادية عليه (إنهم ينفخون البلم) استبشرت المجموعة خيرًا

ولكن الإيرانيين رفضوا أن يتواجد أحد من غيرهم، وتلفظوا بكلمات زاجرة، أزعجت الزملاء.

بلم الإيرانيين أبحر ، وبعد أن نفخوا قاربهم تجمع

الآخرون وركبوا البلم ، المهرب قال لمحمد: (أنتم لستم معنا) امتعض الشباب، بدأوا يتصلون دون جدوى، صعد محمد إلى الجبل اتصل وعاد هاويا، حصل خطأ ما قاربنا غادر دون أن نعلم.

تسمر الأشخاص الستة لا يتكلمون برهة من الزمن، ثم حاولوا إقناع المهرب أن يرحلهم مع جماعته.

رفض المهرب عبدالله ذو اللحية الطويلة والشعر الداعشي الكثيف بلهجته الرقاوية:

(أن المهرب التركي وهو المسؤول الكبير ، لا يرضى ولكن غدًا أستطيع تأمينكم برحلة أخرى).

انطلق البلم الأخير حاملًا مجموعة كبيرة من الرجال والنساء والأطفال وسط حسرة الشباب، ولكن سرعان ما عاد.

كارثة كادت أن تقع، أصوات صراخ وعويل البلم مثقوب.!

نام الشباب في فندق في مدينة صغيرة مجاورة للخليج وفي الصباح استقلوا الحافلة، وسافروا إلى أزمير.

****

دائرةٌ مفرغةٌ

كان لقاؤهم مع عبدالله وسيط المهرب التركي الذي غير من هندامه وقص شعر رأسه وشذب لحيته وتأنق حتى أن العم ظافر سأل أحمد (من هذا) ولم ينتظر جوابًا، تكلم معهم بلباقة وعسل الكلام وتصرف بحميمية وكأنه صديقهم القديم، أخبرهم أن هذا اليوم لا توجد رحلة لكن غدًا في الليل ستسافرون، اتفقوا على موعد وذهب يخبر سيده.

هؤلاء الوسطاء يسمون أنفسهم مهربين ولكنهم في الحقيقة يعملون صبيانًا عند المهربين الأتراك الذين ينظرون إلى المهاجرين على أنهم مجرد بضاعة تدر دولارات، ولا يعترفون بأي تعريف آخر

في الموعد المحدد وصل عبدالله، وأخذ مجموعة الستة إلى مكان خارج منطقة باسمانة مكان الانتظار منزل قديم، عدد كبير من الغرف وسماوي (أرض ديار) مليء بالبضاعة (مهاجرين) لم يجد العم ظافر مكانًا في الغرف. جلس في أقصى مكان في الفسحة السماوية، تبعه محمد

الذي أراد أن يستكشفه، دار حوار بينهما:
تحدث العم عن قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح ، وقصة خرق السفينة انضم أحمد وخالد وفادي وهيا إلى جلسة الحوار هذه.. الرعب يسكن قلوب الجميع من الغرق الذي كان هاجسهم، استأذن أحمد واتجه إلى باب المنزل يريد شراء شيءٍ خاصٍ إلا أن الرجال الأتراك منعوه من الخروج ..عاد إلى رفاقه ووجم الجميع غزاهم الصمت، بعد ساعة أمر الأتراك جميع الناس بالوقوف صفًا والصعود إلى الباصات التي انطلقت خارج أزمير.
لا أحد يعرف إلى أين غير الرجال الأتراك حتى الوسيط لا يعرف ، بعد ساعتين توقفت الباصات، ليتفاجأ المهاجرون أنهم وسط غابة، مشوا خلف رجل تركي في طريق موحلة يسمعون صوت البحر ولا يرونه.. يحرص العم ظافر على أن يكون جانب أحمد الذي توافق عقله مع محمد كثيرًا ، بعد أكثر من ساعة توقف التركي،
لحق به الباقون.
حديث طويل دار بينهم وبين الوسيط الذي توجه إلى المهاجرين وأخبرهم أن وجهة الرحلة قد تغيرت وأن الوجهة الجديدة هي جزيرة سيوس اليونانية العسكرية

يعرف الجميع عنها قصصًا سيئة.
رفض البعض الإبحار.
مجموعة من الأفغان وبعض العراقيين وافقوا ، زاد إصرار الرافضين جلب نفس البلم المثقوب مرقعًا، قبل الظهر كانوا يتجولون في شوارع باسمانة، عندما التقاهم مؤيد وهو معرفة بين أحمد ومحمد، ودلهم على وسيط جديد قال: أنه هو الأفضل بين الوسطاء سيف الفلسطيني صدق الشباب مؤيد واتصلوا بالوسيط سيف واتفقوا، همس أحمد في أذن العم ظافر الجالس وحيدًا (لقد اتفقنا مع المهرب الجديد، واليوم ليلًا موعدنا) لم يرد، تابع صمته.
تم نقلهم بسيارات أجرة إلى ذلك المنزل العتيق خارج باسمانة
ولكن كان العدد قليلًا يتجاوز الثلاثين باثنين أو ثلاثة ، خطب فيهم سيف ووعدهم بالسفر أكيد هذا اليوم وأن المهرب التركي الذي يعمل له هو الأكثر قوة، ابتسم العم ظافر ، مال قليلًا إلى فادي هامسًا (يظن أننا لا نعرف أن جميع المهربين يتبعون لجهة واحدة أو شخص واحد)
اتسعت حدقتا فادي، نظر إلى العم ، لم يتكلم.
بعد عدة دقائق تم قيادة المهاجرين إلى السيارة المغلقة

الخالية من الفرش، منهم من جلس ومنهم بقي واقفًا ليجلس فيما بعد نظرًا للتعب وطول الطريق، بعد ساعات توقفت السيارة ونزل الجميع ليجدوا أنفسهم على شاطئ رملي، عرفوا من غوغل أنهم في ديكلي، لبس الجميع السترات البحرية ، تم اختيار خمسة عشر شخصًا بشكل عشوائي، ركبوا في قارب صغير بمحرك، وانطلق القارب ليختفي بين ظلام الليل وظلام البحر وظلام المجهول.

تساءل محمد : (ترى هل يعود القارب ..أم ماذا)؟ نظر إلى رفاقه وكاد أن يضحك، داهمهم الصمت جميعًا، عيونهم إلى البحر يملؤها الأمل، والخوف.

****

أزميرٌ 3

سرقاتٌ

هاجمهم البرد بقسوة، تراجفت أطرافهم، تجمعوا كقطيع غنم، لعلهم يجدون شيئًا من دفء لدى بعضهم، أشفق عليهم المهرب التركي، وناداهم إلى داخل مقهى مغطى بعريشة، لم يصدقوا بالبداية ولكنهم استغلوا حالة المهرب المؤقتة وولجوا جميعًا وبسرعة إلى داخل المقهى
كان سيف يبتسم كلما اتصل بالقارب، ثم فجأة تجهم وجهه، نظر إلى المهرب بخجل أطرق رأسه.
فجر الخبر (لقد أمسك البوليس اليوناني القارب وسائقه) وانتهى حلم السفر تلك الليلة في قلوب من بقي، كان الوقت فجرًا
ولا يوجد سيارات، أشار عليهم المهرب أن يودعوا حقائبهم في المقهى، ويناموا ليلتهم تلك في بيت في المنطقة لا يبعد إلا **1000** متر عنه، رضي المهاجرون وبكل براءة وطيب قلب، أودعوا أمتعتهم وتوجهوا إلى البيت المزعوم

ليجدوه غرفة واحدة أبعادها (3 ×3)مترًا، ملتصق بها حمام، وهي عبارة عن غرفة حراسة.

أوصاهم المهرب أنه يمنع عليهم الخروج من الغرفة أو التجول خوفًا أن يكتشف أمرهم البوليس ، ستة عشر شخصًا؛ بينهم أربع نساء، والمدة ليلتان، عرفوا خلالهما كل الروائح المزعجة، ابتداء من رائحة الجوارب، وتعلموا النوم جلوسًا، وأحيانًا وقوفًا ، كما تعلموا أشكالًا جديدة من أشكال الشجار، ابتهل العم ظافر إلى السماء:

(متى يفرج الله علينا من هذه المنفردة) أمن الجميع أخيرًا جاءهم الفرج: (ستعودون إلى أزمير وهذه حقائبكم، سننقلكم بسيارات أجرة إلى محطة الباصات) عندما فتحوا حقائبهم لم يجدوا إلا بعض الثياب، لقد تم نهب المحتويات، حتى معجون الأسنان، أو مقص أظافر، أو أي شيء آخر.

حزن كثيرًا العم ظافر على فقدانه أشيائه الخاصة وخاصة النظارات الطبية وحذائه الطبي الجديد.

مسكين محمد، كان أكثر الخاسرين، فقد كل شيء، الحقيبة كاملة.

في طريق العودة إلى أزمير اتصل محمد وأحمد بصديقهم مؤيد الذي استنكر ما حصل ووعدهم خيرًا، ثم أخبرهم أن أبا نديم، الوسيط الجديد هو من سيتولى أمرهم، أبو نديم شاب أنيق ملتح لسانه مدهون بعسل، استقبلهم في محطة الباصات في أزمير، استنكر وشجب وأغدق الوعود وأصر على الرفاق الستة أن يذهبوا معه إلى بيته ويستضيفهم عنده هذه الليلة، وافقوا بعد قليل تفكير.

كان بيته كبيرًا، جلسوا في الصالون مع أهله، أبوه من حلب وأمه من دمشق وبقية أخواته البنات.

ابتسم العم ظافر ابتسامة صفراء عندما سمع الأب يقول لابنه : (أين البقية ؟ هؤلاء ستة فقط ..)

مال إلى أحمد وأخبره مخاوفه من أبي نديم، لكن أحمد لم يوافق العم ظافر وخاصة أن مائدة الطعام قد تم بسطها أمامهم:

جبنة وزيتون ولبنة ومربيات..وبيض مقلي ..ومخلل ..وحواضر أخرى..

بعد الطعام، بشرهم أبو نديم بأنه تلقى من سيده خبرًا بأن سفر المجموعة هذه الليلة وعليهم الانتقال إلى مركز التجمع، الذي كان عبارة عن فندق قديم، تملأه قطعان

من المهاجرين.
بعد منتصف الليل اعتذر أبو نديم عن تأجيل السفر إلى ليلة الغد ..وعليهم أن يناموا بالفندق نفسه، طبعًا الفندق بلا فرش أو أي أثاث ، ولكن بشهامة مشبوهة عرض أن تنام هيا وصديقتها بغرفة في فندق آخر ، كما واقترح أيضًا أن يذهب مع البنات العم ظافر.
في صبيحة اليوم الثاني كان فادي يتكلم مع مؤيد أخبره بأنه لا يثق بأبي نديم وأنه لن يسافر عن طريقه، وعند الانتقال إلى مركز التجمع الجديد،اعترض المجموعة رجل طويل عريض وطلب أن يتكلم مع فادي، تابع الجميع سيرهم، بعد لحظات أقبل فادي و الغضب يملأ روحه ،خده الأيسر اصطبغ بلون أحمر وارتسمت عليه أصابع وفي عينيه دمعة تأبى التدحرج
رفض الجميع التعامل مع أبي نديم لأن الشخص المعتدي من أتباعه، وطلبوا استرداد النقود المودعة عنده وبعد مفاوضات مريرة وشاقة اقتطع **200** دولارًا ثمن العشاء والضيافة من الرفاق الستة.
لم يكن أخذه للنقود ما أزعجهم إنما كونه اصطنع كرمًا

وجودًا غير موجودين عنده وخاطبهم بحميمية: (أبناء بلدي ...)

قبيل المغرب جاء مؤيد ورافق المجموعة إلى نقطة تجمع جديدة كانت الأخيرة ليتم نقل أكثر من سبعين مهاجرًا بسيارات خاصة.

ولكن هذه المرة ، لم يعتمد الأتراك على وسطاء غيرهم وبدأت مغامرة انتهت إلى البلم.

****

بلم 1

متوترًا جدًا كان سائق السيارة التي تقلهم، يتكلم بهاتفه النقال ويسب ويشتم بلغته التركية، فهموا أنه يكلم زملاءه الذين يرافقونه حاملين معهم ما تيسر من الزبائن او النفر، يوقف السيارة، يتكلم، ثم يدخل في غابة ويطفئ محرك السيارة، الرعب والإثارة على وجوههم كالكابوس يشغل السيارة من جديد، ينطلق..و وراءه رتل من السيارات، أحصوهم.. منهم من قال عشرة سيارات ومنهم من زاد خمسة أخرى... أطفأت أنوار السيارات، ولم تتوقف، بعد مضي عدة ساعات ..توقف وأمرهم بالنزول بسرعةراميًا حقائبهم أو ما تبقى منها على الأرض، ثم انطلق هاربًا...كما فعل رفاقه... كانت تنتظرهم امرأة ..قصيرة القامة والشعر تتوسط السواد .. مع بضعة أشخاص توزعوا ...كما يفعل حراس الأمن أعطت أوامرها لبعض المسافرين..أحضروا البلم ... وتم ضخ الهواء فيه ...تبين شكله تذكروا الدولاب الداخلي للسيارة..مثله تمامًا ولكنه كبير بشكل قطع ناقص .. تلك المرأة القصيرة

السمراء ..كانت تصرخ وتروح وتجيء البعض لا يفهم ما تقول بسبب لغتها وصوتها المترافق مع صوت البحر الذي كان كالموسيقى التصويرية في أفلام الحركة والأكشن ..تم إنزال البلم إلى البحر ، وانطلق الناس نحوه .. لم يعرف العم ظافر كيف وصل أو كيف ركب ، المهم وجد نفسه في مكان أخذ يضيق به ويزدحم، النساء افترشن أرضية البلم .. تسور الرجال على الأطراف ..منهم من يحمل طفلًا ..ومنهم من يحمل نفسه ومنهم من يتكئ على الآخرين، وتلك المرأة العجوز اللبنانية وقفت أمام العم ظافر تصرخ وتتألم من قدمها العالقة بين الأرجل قال لها البعض: ابقي كما أنت .. ولكنها استمرت بالصراخ والتاوه ..مسكينة تلك المرأة لا تستطيع الوقوف ولا تستطيع الجلوس، عذابها أضعاف ذلك الشاب اللبناني الذي تطوع لقيادة البلم مستفيدًا من إعفائه من الأجرة ..طلب من جميع من في الوسط الجلوس حتى يرى أمامه .. لم ينتبه العم ظافر كيف تم وضع ذلك المحرك الذي هدر فجأة، وانطلق البلم وسط صراخ النساء وبكاء الأطفال وتوجيهات الآخرين، الموج ارتفاعه قليل قال أحدهم وصرخ آخر :ادعوا ربكم ياجماعة.. تعالت الدعوات والابتهالات، وفجأة الجميع

عرف الله.. وفجأة...الجميع ...عرف الله لمدة دقائق
صرخت إحدى النسوة:آه ياقدمي من يجلس عليها
؟..تصرخ الأخرى :ولكنك أنت من وضعتها تحتي، كانت
المرأة مستلقية على ظهرها تقريبًا تأخذ راحتها تمامًا وسط
ازدحام الآخرين، تمتم العم ظافر في نفسه :حسبنا الله
ونعم الوكيل وتساءل : أين تذهب هذه العجائز ؟ وكيف
يغامر الأهل بأطفالهم الصغار في هذا البحر المخيف ؟ رفع
صوته في الجملة الأخيرة ، التفت إليه جاره قائلًا:وماذا
نفعل...في بلادنا نخاف عليهم من القتل تحت القصف أو
القنص أو التكفير .. فنحن نخاف جميع الأطراف ..النظام
والتنظيم ..وكل المسلحين..من كل الأطراف..و نحن يا
صديقي نختار أهون الشرين ..ابتعد البلم عن الساحل
كيلومترات ، تعالت الأمواج قليلًا..رحبت بالقارب ومن
فيه برشقات منها ابتلت ظهور البعض ، ضج البلم بالدعاء
والابتهال ضحكت الأمواج و..استدرجته إلى عمق البحر
... المرأة العراقية تصرخ وتسأل عن الله ...أحدهم اقترب
منها ..:ابتعد أيها الرجل ..هذا وقت التوسل إلى الله
وليس... قاطعهم بشدة :ولكنني لم أفعل شيئًا أحمل طفلي
الصغير ومن يكبره متعلق بي كالغريق.. سكت الجميع

..ماعداها تصر أنه يتحارشها تدخل قائد البلم مهددًا بالتوقف إن لم يهدأ الجميع... تكاثرت الأمواج حول البلم ورفعت رؤوسها وكأنها تنظر إلى من فيه وتحصيهم ...هبات هواء باردة جدًا تدخلت دعمًا للأمواج .. وأصبح لون البحر أسود، لم يهدأ الضجيج لم يتعب الأطفال من العويل ، والبكاء لم تنتهِ شكاوى النساء المتمددات على أرضية البلم من ظلم الواقفين على الأطراف.. انهارت العجوز فوق إحداهن ..استغاثت الأخيرة ...حركة استنهاض للعجوز ..تمايل البلم ..عاد الخوف من جديد، ارتسمت علامات الرعب على الجميع ..وظهر الهلع على البعض..:توسلوا إلى الله ابتهلوا وحدوا الله، صرخ الرجل الواقف بجانب العم ظافر ، وسكت همس له :ولكن لماذا لا توحد الله أنت وتأمرهم بذلك؟ارتبك الرجل الذي طغى عليه الهلع مكررًا:سأوحد الله...سأوحد الله...فيما بعد .. ابتسم العم ظافر متابعًا قراءته لبعض سور القرآن .. الجميع كان خائفًا ، منهم من يظهر خوفه ومنهم من يتماسك، ماعدا ذلك الغلام الذي يستلقي جانب أمه ويلعب بألعاب الموبايل... صرخت المرأة الكردية بلغتها طالبة النجدة، الدولاب الذي تتزنر به ضايقها.. مع اقتراب

البلم من أضواء الجزيرة ازدادت ثورة الأمواج، وأخذت تضرب البلم بقوة، ترفعه عاليًا لترتفع القلوب وتنزله لتهبط تلك القلوب ... المحرك شغال..ولكن.. كأن البلم لا يتحرك...وبدأت الأمواج ترسل رشقات من المياه إلى داخل البلم ..اقتحمت المياه الثياب...أحس العم ظافر بها ..وشعر بجسمه مبتلًا واخترقت المياه ثيابه...تابع قراءته... الرجل ذو اللحية الطويلة والشارب الحليق طالب الناس مرة أخرى بالتوسل والدعاء...دون أن يفعل.. صرخت بعض النسوة ..:لقد غرقنا امتلأ البلم بالمياه... عاد نفس الرجل الملتحي إلى الصراخ ولكن هذه المرة طلب شيئا آخر: يا جماعة ارموا حقائبكم بالبحر ..لم يرد عليه أحد ...طمأنه قائد البلم أن نسبة المياه التي تسربت عادية وغير مخيفة، أمسك العم ظافر يد الرجل، كان يرتجف سيطر عليه الهلع، اقترب البلم من الجزيرة صارت بعض الأمواج أعلى من البلم أنار البعض بهاتفه طالبًا النجدة ، والبعض الآخر اتصل بأحد ...ولكن لا مجيب...كرر الرجل مستحلفًا بالله أن يرمي الجميع حقائبهم دون أن يكترث أحد.. بدأت بعض السيارات تظهر على الشاطئ صاح أحد الواقفين : ياجماعة لمن هذا الطفل الذي بين يدي..أحمله

من أول الرحلة ولا أعرفه أو أعرف أهله... شكا آخرون من نفس الحالة،أطفال رضع نسيهم أهاليهم بأحضان الآخرين...إنه يوم القيامة.. شعر العم ظافر بالخوف، وأيقن بأن الموت صار قريبًا منه.

في لحظات الرعب الطاغي، ينسى البعض الدعاء والابتهال إلى الله، فقط يخاف يتجمد كل شيء فيه، فقط تنشط أعصابه المتراقصة على وقع الهلع، تجمع أهل الجزيرة على الشاطئ ومنهم من نزل إلى البحر للمساعدة، أمسكوا البلم وسحبوه باتجاه الشاطئ..أطلق قائد البلم صيحة فرح عالية، ردد البعض الصرخة. تم إنقاذهم. شكروا المنقذين و نسوا الله.

****

في المحطةِ

باقة الورد بين يديه ملونة فيها الألوان التي اعتادت على ذكرها أمامه، عينه ترقب المترجلين من القطار، ستأتي في القطار القادم .. همهم، جلس على مقعد مركون على ناصية المحطة، ابتسامة خجولة ارتسمت على فمه.

مع مرور شريط ذكرياته في خياله تلك السمراء الفرعاء كأنها جذع مقطوع من نخلة؛ هيفاء، عينان سوداوان غامضتان تشبهان عيني غزالة ذكية، الثغر رشيق يكشف عن صفين دقيقين ناصعين من الأسنان كلما تتبسم ، وتلك العذوبة التي يسمونها الجاذبية، التي هي سحر إلهي لاينطق به عضو أنثوي بمعزل عن باقي الأعضاء.

هي هبة الله لحواء أسكنها في روحها لتنتشر وتسري إلى كامل أجزاء الأنثى مثل دفقة ضوء، ينعكس في ومضة العين أو بسمة الثغر ، أو امتداد القد، أو طريقة النطق أو رمية الجدائل على الجيد، أو أي حركة تلقائية أخرى من أي عضو أنثوي.

فجمال الجاذبية ليس كامنًا في العضو المعزول بجموده ، ولكن هذا الثراء هذا السحر الخفي ينطق ويأخذ ويأسر ، في تناسقه وانسجامه مع باقي أعضاء الأنثى في كل حركة من حركاتها العفوية، هذا الدبيب المتردد هذه الحيوية المتوجسة بحركتها الحيرى، هذا الإيحاء المبهم وكأنه الشقاوة المستعارة من قيعان المجهول من الروح ، هو المبدأ هو الخيط الذي

يؤدي في النهاية إلى الجاذبية ويصنع السلطان الذي يلوي أعناق أقوى الرجال ..)

لم يعرف كيف استطاع العصفور أن يفلت من القفص ويقع في أسر الجاذبية المفروش في البسمة كنسج العنكبوت، ذلك اليوم في المول الكبير، وذلك الجدار الزجاجي عندما لمحها أول مرة، والتقت عيناها بعينيه، عندها توقفت الحياة بالكون كله ، لم يعد يحس بشيء غير نسمة حب قادمة من جانبها ورسائل تحملها جنيات العشق في الأحلام بينهما أراد أن يكلمها ، اقترب من الجدار البلوري العازل.

قرر أن يذهب إلى الجهة الأخرى عبر بوابات المول، لكن الكهرباء من شدة إعجابها بالثنائي توقف تيارها

وانقطعت قوتها رجع إلى الجدار ، ورجعت، تكلما بحركاتهما كل الكلام، لم يبق شيء من كلام الحب، أراد أن يسمع صوتها .لكن الجدار منع الصوت، كتب رقم تلفونه على الجدار البلوري أمام جميع المتواجدين خجلت، اختبأت عيناها خلف يديها الناعمتين، ولم تستطع الاستدارة.

يبتسم، يفرد يديه بالهواء، يستبشر، ها قد جاء قطار ، مضى دون أن تنزل منه.

تساءل :لماذا هي مصرة على البقاء في القطارات ؟!

عاد لابتساماته، تلك اللحظات الجميلة في المحطة.

عانقته بشدة وعانقها، اختطف قبلة عابرة من خدها، ابتسمت، قالت له : اذهب أنت، وجهز الأمور ، وأنا سألحق، بك

ودعها وانطلق قطاره.

انتظرها طويلًا في محطات القطار ، أدمن الانتظار ، لم يمل ولم ييأس ولكنه يظن أنها تأخرت قليلًا، وأن آخر لقاء بينهما مضت عليه عصور عدة وأجيال.

****

رحيلٌ

تتهادى بمشيتها سمراء واسعة العينين بلون بني يضفي جمالا وسحرا ويزيدها ألقا وحسنا، طويلة القامة، لا يكاد يبين قدها، شعرها غير واضح المعالم بسبب الحجاب تلفت النظر بابتسامتها الدائمة.

تمشي وأمامها تاريخ يمشي رجل طويل القامة يرفع رأسه شامخا أسمر البشرة يبمشي بخطا قوية واثقة من بعيد يأتيها صوت امرأة :نعيمة.

تلتفت، ترى المرأة تتابع ابتسامتها وتتوجه نحو صديقتها التي تسألها :

كيف حالك؟

وقبل أن تجيب تباغتها بسؤال:

وكيف حال عمر؟ أما زلت تتكلمين معه؟أطرقت نعيمة خجلًا، ضاع فمها تحت أنفها واحمرت خدودها ثم عادت لابتسامتها، أجابت: نعم هو حبيبي وأحب الحديث إليه ضحكتا معًا

وودعت صديقتها وتابعت السير خلف ذلك الرجل، الذي

يحاول أن يلاطفها قائلا :نعيمة أنت اليوم جميلة جدًا ..ثم يتابع سيره دون انتظار الجواب، فقد أدى ما عليه من واجب الملاطفة لم ترد ولكن اختفت الابتسامة
دمدمت:الشايب قلبه أخضر
تابعت المسير بضعة خطوات حتى سمعها الرجل وهي تقول:
عمر هههه حبيبي لقد آلمتني
يصرخ الرجل بصوت هامس:نعيمة ،كفى ضحكًا ستسببين لنا الفضيحة أمام الناس.
تهدأ وتبقى ابتسامتها كما هي تدمدم: يريدني أن لا أفرح وكيف لا أفرح وهاهو حلمي الذي حملته في قلبي وعقلي ووجداني سنين طويلة قضيتها
أحلم به وبعد حرمان حطم قلبي ها هو أحمله هنا بين أحشائي يلاعبني فأضحك وأتكلم معه ماهؤلاء الناس لا يفهمون ما أحس به.
سأكلمه وأضحك معه وألاطفه جتى أراه أمامي، تسمعه يقول:بشاير ، طريقنا طويل وشاق وأمامنا أهوال السفر يجب أن نجهد للوصول مع وصول عمر ، تفرح تبتسم، تسرع خطاها يمشيان متهاديان.

هي تتهادى بسبب حملها وحلمها الجميل، هو يتهادى بسبب تراكم الأحمال الثقيلة فوق رأسه.

****

قلبٌ

لم تكن تتوقع أم كريم أن الاحتفالات بالنصر مستمرة، كانت تظن أن الأمر قد انتهى، ورجع الناس إلى بيوتهم مسرورين كانت بصحبة ابنتيها رولا ذات الثمانية عشر ربيعًا والتي تحمل في رأسها الكثير من أحلام السعادة والمستقبل الجميل برفقة حبيبها الذي ستتزوجه بعد أشهر قليلة تنظر إليه مبتسمة، وهو يمسك يدها تشاكسها أختها ضياء ذات التسعة أعوام تلك الشقراء الجميلة التي تحاول مداعبة أختها وخطيبها بالمزاح والتعليقات البريئة عندما وصلوا إلى الشارع الكبير فوجئوا باستمرار الاحتفالات، وكلما اقتربوا تعالت الهتافات وصدحت الأناشيد بقوة وتكاثر الناس، تغطي رؤوسهم سحابة كبيرة ملونة من الأعلام والبيارق.

طلبت أم كريم من عائلتها البقاء متماسكين مع بعضهم والاقتراب منها ما أمكن حتى لا يضل أحد وخاصة ضياء المشاغبة التي أثارتها الهتافات وأطربتها الأناشيد، صارت تتمايل مع ألحانها واتجهت إلى أمها تطلب منها بالحاح

بيرقًا تحمله كما يفعل أترابها، وترفرف به كلعبة استهوتها، لكن أم كريم لم ترد،كانت تريد فقط الخروج من هذه الزحمة خوفًا على بناتها مع أنها شعرت بسعادة كبيرة وسط هذه الاحتفالات (قالت لجارتها في اليوم التالي: أن جسمها اقشعر وأحست بنفسها محلقة في فضاء الاحتفال)

في خضم هذه المشاعر التفتت إلى ابنتيها رولا وخطيبها محمد، يمشيان جنبًا إلى جنب معها ولكن أين ضياء؟؟!!

وقفت

أمسكت ساعد محمد، انحبست الكلمات في حلقها، جاءها صوت من بعيد، التفتت شعرت أن قلبها غادر صدرها وتدحرج إلى الضفة الأخرى من الشارع حيث ابنتها ضياء تحمل علمًا ترفرف به مبتهجة سعيدة تقف إلى جانب تلك المرأة المبتسمة والتي أعطتها بيرقًا كان معها.

****

صخبُ الصمتِ

البحر هادئ يستجيب لنسيم خفيف يمسح بيديه على وجه المياه ليصنع تموجات متناهية في الصغر وممتدة على عرض النظر فترتسم لوحات جميلة بألوان السماء والماء، تأسر القلب وتأخذه معها إلى الأفق فيتيه هناك، وينسى طريق العودة، تحمله النسمات وتصعد به إلى تلك السحابة اللعوب التي تعشق التجديد وتغيير الرسم.
نظر بعيدًا إلى البحر وغاب فيه، وجدها هناك ألقى عليها تحية الصباح:صباح الخير،كانت تنتظره بشوق وشقاء :
صباح النور ،تأخرت ، قدم عذره لها :
كنت مشغولًا بالنظر إلى وجهك الجميل وانتظرت فرصة الإبحار في عينيك إلى أن حانت... ابتسمت ألقت يدها باتجاه يده الممدودة فلامستها ...بادرته: خذ القهوة.
ارتشف من الفنجان، سألها :هل تجيدين القراءة في الفنجان؟
جلجلت بضحكة ذات أنغام راقصة
:لا..ولكن أحب أن يقرأ لي أحدهم الفنجان حلو

التبصير فأنا أنسى مايقولون ولكن أحب أن أشعر قارئ الفنجان أني أصدق كذبه علي، أحس بمتعة في ذلك، هذا طبعي ولكنني لست شريرة..

ضحك ضحكته الشريرة واعترف:

أنا شرير ، وأحب الأشرار حتى بالأفلام أتعاطف مع الشرير ضد البطل

ضحكا معًا، مازحته: يا شرير كشفتك ها قد اعترفت، ولكنني أعرفك ..أرنب..

أبدى بعضًا من استياء؛ أردفت :

أنا أمزح معك، اقلب الصفحة.. وتابعت ضحكتها الراقصة

سألها : هل تحبين السجاد العجمي؟ نظرت إلى شخص أبله قربها :

ما بالك؟ هل هناك أحد غيري تتكلم معه؟ لماذا تقحم السجاد العجمي في حوارنا ؟

ارتبك وارتجف صوته قائلًا:

أنا لا أحبه، فيه عث.

أعدمت ضحكتها وصعد دم حار إلى رأسها، صرخت: هل أنتحر...؟

صار صوته أكثر اهتزازًا

:ولكنك قلت اقلب الصفحة قلبت الصفحة وجدت فيها السجاد العجمي.

ضحكتها صارت أعلى وتسارع رقصها أشارت له أن: أنت ماذا؟

ومن أنت بربك قل لي؟..

بابتسامة هادئة أجاب:

أنا بائع ابتسام، أبيع الابتسامة بضحكة وأوزع الفرح مقابل الرضى.

تابعت ضحكتها سائلة:

لقد جعلتني أضحك كثيرًا إلى درجة الألم كم تريد ثمن هذا الضحك ؟

شاركها ضحكها : أنا قبضت الثمن مباشرة

في غمرة الضحك كأنها تذكرت شيئًا : السجاد العجمي عندي واحدة في بيتي وأخاف عليها من العث، هي مفروشة في الصالون.

طمأنها:السجاد العجمي يزداد جودة وأصالة كلما يزداد (الدوس) عليه، يعني طالما السجادة مفروشة على الأرض وتتعرض للوطء المستمر بالأرجل، فهي بخير، الخوف

عندما تكون بعيدة عن مكانها الطبيعي، تحت الأرجل.
ولكن هل نقلب الصفحة؟ تصافحت ضحكتان.
المسافة بينهما لا تتجاوز المتر الواحد يملأها صمت طويل
لاينتهي نظراتهما إلى ملعب أحلامهما
الجميع يعرف أنهما لا يتكلمان ولا يسمعان فقط تلتقي
نظراتهما بين فترات متباعدة يعيشان أحلامًا لا تنتهي
ويصعب تحقيقها.

****

أبو زيدٍ

أخرج حسين منديلًا من جيبه و أعطاه مسح الدم الذي سال على جبينه، تألم كثيرًا لدرجة الرغبة بالبكاء لكنه أحجم خوفًا من العار الذي كان سيلحق به إن بكى فهو رجل قد تجاوز سن العاشرة منذ السنة الماضية
كانوا مجموعة من الأولاد، عفوًا أقصد الرجال، فقد يلومونني على كلمة أولاد، لم يعرفوا سر الهجوم الذي شنه عليهم أولاد حارة الهلك، المزودون الأسلحة المتطورة من مقاليع و نقافات(مطاطات)وبعض أغصان الشجر المجردة من أوراقها و أحجار تنهمر كالقذائف على رؤوسٍ .. أول...أقصد رجالًا بعيدين، فهم كعادتهم يلعبون يوميًا في الوادي، والوادي هذا مساحات واسعة بضعة هكتارات لا هي زراعية ولا هي سكنية مجرد أرض يتوسطها أخدود يسمونه الوادي، يتخذها أصحاب المناطق المجاورة كملاعب كرة قدم، وغيرها ولا تستطيع جهة أن تدعي ملكيتها، بعد أن عصبوا رأس زميلهم بالمنديل، طلبوا منه الذهاب إلى البيت، ولكنه رفض لاعتبارات

تخص الرجال، خاصة وأنهم تراجعوا كثيرًا حتى اقتربوا من بيوت أهاليهم، وهذا خطر معنوي كبير ، حيث أصبح لزامًا عليهم الرد حتى لو كان إعلاميًا.

لم يكن مروره صدفة فهو يتواجد في كل ساحة خلاف أو نزاع أو أي مشكلة ليساعد في إعطائها حجمًا كبيرًا ليصل إلى غايته فهو أبو زيد ذلك الوجه المتباسم بلا شعور والمتأنق بثياب حريرية جميلة و أسلحته الفتاكة، حلم كل متقاتل مهووس يظهر من الكلام حلوه، ويضع بين كل كلمة وأخرى ألف تفصيل وغاية، يهابه كل الرجال وحتى الأولاد أيضًا وكذلك الحريم، سطوته كبيرة وشره كثير، والقرب منه جنة بكل ما تعني الكلمة من أوعية معانٍ؛ باختصار يمسك بيد واحدة كل الخيوط، وباليد الأخرى يمسك النذالة كل النذالة، هكذا هو؛ أناني إلى درجة التصوف في الأنانية وقذر إلى درجة الإيمان بها، فلسفته؛ الغاية تبرر الوسيلة.

لما رأى حالهم سألهم: ما بالكم ؟

لماذا ثيابكم ممزقة ودمكم مسفوح..؟

هو يعرف ولكن سر الصنعة تظاهر بأنه يسمع لهم، ثم شجعهم على العودة إلى ميدان المعركة وإلحاق الهزيمة

بالمعتدين واعدًا إياهم ببعض الأسلحة الفتاكة وأعطاهم نقافة واحدة، اختلفوا، من
يستخدمها وكيف؟
بعد ساعة من الزمن كان الأولاد يتراكضون في عرض الوادي .
نعم لقد ولوا الأدبار، تجمعوا عند أطراف بيوت أهاليهم، اللهاث منعهم من الكلام وضيق النفس،
طبعًا حامل النقافة خائن، لم يستخدمها عن أن يعترف لزملائه أنه لا يعرف كيفية استخدامها، ولكنه خشي أن يكون هذا الاعتراف حجة عليه ويتم سحب السلاح الفتاك منه، سكت هدأ اللهاث عادت الأنفاس إلى بعض طبيعتها، حانت من أحدهم نظرة إلى معسكر الأعداء غريب ! أبو زيد؛ ذلك الوغد يعطي الطرف الثاني الكثير من الأسلحة والحجارة.
صديق غادر أشد عليهم من عدو فاجر لكن، ها هو يقبل نحوهم، شرح لهم كيف حاول أن يثني هؤلاء المعتدين عن اعتدائهم ولكنه لم يفلح، ضحك الأولاد من ذكاء أبي زيد، وخافوا أن يظهروا سخريتهم منه، وقرروا أن يعتمدوا على أنفسهم وسحقًا لأبي زيد وكل من

يدعي صداقة، فقد أوصلتهم هذه الصداقات إلى مسارات سيئة، أصابتهم باليأس، واستمر الصراع بين أبناء الحارتين، ولكل حارة أبواب عدة، و غاب الحوار بينهم.

****

الأملُ

فتحت له الباب مرحبة به كعادتها:
أهلًا وسهلًا بابا اشتقتلك، يهز رأسه موافقًا ويدخل.
تابعته :بابا بابا ، عندنا صديق أخي مالك، هو مع أخي أنس بغرفته، لم يعلق، شعر بضيق، وقاوم دمعة هددت بالسقوط، توجه إلى المطبخ، رحبت به وتابعت عملها، تهاوى على كرسي خشبي، شعر أنه اختلط بخشب الكرسي، غاب في شروووود انتظرته أن يزف لها بشرى ما، اكتشفت من حالته أن لا جديد ، واسته :
الله كريم، ابننا أكيد هو بخير ، ولكن الله أعلم ما يحصل معه وكما يقولون :
الغائب حجته معه، لم يسمع مواساتها هواجسه سحبته معها تاركة جسدًا بليدًا مرميًا على الكرسي، أمسكت يده برفق وهزتها :ما بك ، ألم تسمعني؟ قلت لك
أن تلك الفتاة التي تقول أنها زميلة مالك في المعهد ..قد اتصلت اليوم وأخبرتني أن
صديقهما حسان قد طمأنها أن مالك بخير.

لم يكترث لما سمع، أغمض عينيه واستسلم لتسلسل الأحداث، منذ أن غادر مالك البلاد إلى تركيا ليبتعد عن الأحداث شهرًا أو شهرين على أبعد تقدير كما وعد.
ولكن، مرت خمسة أشهر وحال البلد لا يسر صديقًا، وذات مساء اتصل مالك من أثينا: بابا أنا هنا بأثينا
وجدت عَمَلًا مع صديقي أعطِ سماعة الهاتف لتلك التي انفطر قلبها على ولدها، وراحت تلاحقه بسيل من الأسئلة عن كل شيء يخطر على بال أم مشتاقة جدًا لابنها.
بعد أشهر قليلة اتصل به مالك وأخبره أنه قرر العودة إلى تركيا ثم إلى حلب.
في اليوم التالي اتصل أيضًا وأخبره أنه في الباص مع صديقه جعفر وقد اقترب من نقطة الحدود التركية ثم انقطعت أخباره.
أربعة أشهر لم يسمع أحد عنه خبرًا حاول الاتصال بأصدقائه، ولم يحصل على أية أجوبة بقي عنده إيمانه بالله فقط، لم يقطع الأمل
في هذه الأثناء كان جميع أفراد العائلة بحالة استنفار، الكل يسأل عن مالك، والكل لا يحصل على جواب، حاول الأولاد جاهدين التخفيف عن أمهم ذات الدمعة المنهمرة بشكل

دائم وذات الوجه الحزين الذي يتآكل لحمه، أما هو فإنه يحفظ كلمة لا يريد أن يحفظ غيرها:

الله كريم...الله كريم.

تنهره زوجته : يا رجل، ابحث عن ولدك بشكل جدي لا تكفي هذه الكلمة التي لا تنفك تكررها، يصمت طويلًا، ثم يعود ليكرر كلمته المشهورة : الله كريم.

سأل أنس أخته: أين أبي؟

قبل أن تجيبه توجه نحو أبيه:

بابا..صديق مالك عندي ويريد أن يطلعك على أمر ، نظر إلى ابنه ببلادة سائلًا:

ماذا يريد ...؟أجاب أنس : لا أعلم

لم يخبرني، قال : أنه سيقول لك فقط

جلس على كرسي مقتربًا منه حتى كادت ركبتاهما أن تتلامسا...:نعم يا ابني قل ما عندك

ارتبك الشاب قليلًا ..كان الشاب ضخم الجثة، صبوح الوجه، وعيناه الدامعتان تنبئان بحزن يتزايد كلما أراد الكلام..ثم تمالك نفسه واستجمع قواه ونطق:

عمو أنا آسف لما سأقوله لك ولكن لا بد لك أن تعرف، خاف الأب واهتز إيمانه وشعر بمصيبة

تابع الشاب:مالك سافر بالبحر إلى أوروبا وغرق القارب، ومات.

سكت الشاب ..وخيم صمت عميق ..ثم دوت ضحكة عظيمة مصدرها الأب ..ارتبك

الشاب دخل أنس إلى الغرفة مستفسرًا عن سر الضحكة التي لم يسمعها منذ أشهر عدة، التفت إلى أنس متابعًا ضحكته : اتركنا قليلًا..ثم هدأ وبابتسامة مستمرة قال للشاب:

قصتك لا أصدقها، فيها ثغرات كثيرة، هي مجرد تكهنات أليس كذلك ؟

هز الشاب رأسه بالإيجاب واستدرك :

بل أخبرني قتيبةصديقنا بهذا الخبر وطلب مني أن أخبرك...ولكن .... ربت الرجل على كتف الشاب وقال :

لا عليك ولكن لا تخبر أحدًا بما قلت وخاصة أولادي

كان ذلك اليوم اسمه الخميس، بعد أن ذهب الشاب حاول أن يتستر على ما قاله الشاب ...تعذب كثيرًا يوم الجمعة كان الأصعب لم يخرج من البيت لم يتكلم إلا للضرورة القصوى، بقي

شاردًا طوال الوقت، أحيانًا يجامل صغيرته بضحكة قصيرة

سرعان ما تنتهي، ثم
يعود لشروده، يتردد هل يخبرهم، أم يبقي الأمر حبيس صدره ؟
في صباح يوم السبت خرج من البيت مشى طويلًا ، عاد بعد الظهر، جلس على كرسيه المعتاد أحضرت له كوبًا من اللبن وجلست بجانبه سائلة: هل من جديد ؟
كرر كلمته المشهورة ؟ دمدمت، ثم نادت ابنتها ...و ....رن جرس التلفون ..
كان هو الأقرب رفع السماعة بتثاقل وبكل برووود :
نعم...كان الصوت الأغلى
في الطرف الثاني.:مرحبًا بابا
صرخ بعالي صوته:
مالك..؟ و انفجر باكيًا بصوت عالٍ.

****

خواءٌ

يفتح كتابًا ويقرأ جزءًا منه .يرميه جانبًا .يتمشى بين غرف المنزل .يعيد ترتيب بعض الأشياء .وبحركة لامبالية يهدم ما كان قد رتبه. يزفر زفرات طويلة ..ينظر إلى ذلك الجهاز ويشيح بوجهه عنه بسرعة وكأن عقربًا قد لدغته..يتابع تجواله بالغرف .يقرر النوم ..فيذهب إلى سريره يتمدد ويغمض عينيه ..بالإكراه .ولكنه ينهض بسرعة هامسا لنفسه: إذا نمت الآن فماذا سأصنع في الليل؟ يمسك الكتاب مرة ثانية يعيد قراءة ما قرأه قبل قليل .قد يجد شيئًا لم يلاحظه في المرة الأولى!!!ينهي مراجعته .يضع الكتاب على الطاولة ويتجه إلى الشرفة.ويبدأ أنشودة عدّ ..لامتناهيه ..سيارات ..أشجار .. أبنية ..عدد المارة بالشارع.وعدد الأصوات التي يسمعها بين الحين والآخر. .وعدد الكتل النارية التي تمر فوق المنطقة .يتساءل : ترى إلى أين ذاهبة هذه ال.....؟لا يكمل .هو يخاف من ذكر اسمها على لسانه. يعود إلى داخل البيت ..يا إلهي لم يشعل الضوء الثالث إدمانه

سيفقده عقله .يجلس بجانب (الراوتر) ينظر إليه ببلادة .. يتخيل نفسه يجلس خلف دجاجة ينتظر منها أن تبيض ..فتخاف منه ولا تبيض.. هههههههه يضحك من خياله الذي لم يرسم له إلا هذه الصور المضحكة.. يرفع عقيرته بالغناء ..يمزج كلمات الأغاني ويخلطها فينتج شيء جديد عنده يبتسم لهذا الإبداع الباهر. يتابع غناءه معجبًا بصوته الجميل وإن كان هو المعجب الوحيد بهذا الصوت الرخيم الصداح ينتشي طربًا فيتعالى صوته لحظات يسكت ينظر حوله ترتسم على شفتيه ابتسامه بلهاء ..تتبعها ضحكة مدوية .. لا عجب فقد استذكر توسلات أولاده ومناشدتهم له : باباااا... نرجوك... لا تغني...!!!! يحجم عن الغناء إكرامًا لهم .مع توجيه اللوم لهم : لا تميزون بين الأصوات ولا تعرفون معنى صوت جميل..

يعود إلى البلكون ...يجلس على كرسيه هناك ويغرق في القراءة.. لساعة من الزمن ..لقد بدأت السماء بكرمها ...الله يبعث الخير .. اتجه إلى الداخل بدل ثيابه وحمل مظلته .وما هي إلا لحظات حتى كانت المظلة تتلقى وابلًا غزيرًا من المطر..هذه عادته ..يحب المشي تحت هذه البركة ..نعمة أنعمها الله على الأرض وأهلها.كانت أطرافه

السفلية مبتلة جدًا عندما عاد الى البيت ..وكالعادة في كل مرة يدخل إلى بيته ينادي زوجته وأولاده ....ولا أحد يجيب... و..بعد تبديل ملابسه يحمل كأسًا كبيرة مملوءة بالشاي .ويجلس بتثاقل و.. شرود ..عينه على (الراوتر)يختلس النظر إليه ..بينما يتابع التلفزيون على برنامج طبخ.....يغرق في ذكرياته وأحواله ..يتذكر حياته كيف كانت . صخب البيت واحتياجاته .وابنته التي كانت مصدر ابتسامته...ثم لم يعد أحد موجودًا بقي وحده لا مؤنس له ...أحلامه صارت محدودة وأمانيه تضاءلت واتجه شيئًا فشيئًا إلى انعدام التوازن..والفراغ ..خواء لايشبهه أي شيء . يحاول جاهدًا أن يبقى وأن تستمر حياته ويخترع الأسباب من أوهام الحزن الذي يستعمره وسراب الأيام المجهولة..القادمة. (لعل الله يحدث أمرًا) يكررها بصوت عالٍ ..يتابع :أما آن لهذه الحرب اللعينة أن تنتهي ..تلك الحرب التي شتت الأفكار والأسر... يخاف أن يسمعه أحد ما ثم يتكلم بصوت عالٍ:كل الحق علي أنا فالحرب لا علاقة لها واحتمال أن أكون أنا سبب كل ما يحدث من حروب وويلات وتشرد وقتل .. وذلك لأن صبري قليل ....

يستيقظ من غفوته يفزّ واقفًا يسخر من خيالاته .يعود إلى كتابه الذي يقرأ بكثير من الشقاء والحزن ....والخواء

****

بوبجي

مفخخات عهدناها وعرفناها كثيرًا فهي من سمات النظام المجرم ولكن أن يأتي أناس ويدعون مخالفتهم للنظام ويقلدونه في كل شيء فهذا شيء مقرف حقًا ولكن عندما نعرف أن هذا المقلد المزيف ما هو إلا الابن غير الشرعي لذاك النظام الملعون عندما تم طردهم من ريف إدلب بقيت مفخخاتهم وبعض ألاعيبهم في بعض الأماكن وخاصة تلك المدن الصغيرة التي كانوا يسمونها عاصمة الدولة الإسلامية(داعش) في الدانا يعيش أناس بسطاء عفويون لا يضمرون الشر لأحد ولكن وجود هذه الزمرة المارقة بينهم وأحيانًا في بيوتهم وجدت هذه المفردات والأفكار أرضًا خصبة في نفوس هؤلاء الناس الطيبين فبينما كان الشاب مصطفى يلبس ثيابه ليخرج لأمر يهمه إذا بالباب يطرق طرقًا شديدًا يجيبه بسؤال: من الطارق ؟؟؟ ليسمع الكثير من الشتائم والسباب دخل إحدى الغرف تحسّبًا لأي طارئ قبل أن يتم كسر الباب كما يفعل النظام عادة ودخل مجموعة من الرجال

المدججين بالسلاح وانهالوا عليه ضربًا ولكمًا ورفسًا مع كل أنواع الشتائم تحمل الضرب وسألهم ماذا فعلت لكم ومن أنتم؟ دخل فجأة شخص ملثم بوشاح أسود مباشرة شتمه قائلًا: أيها الكافر أين أخوك؟ حسان الكافر الذي جلب صديقه الكافر مثله والذي بدوره غدر رجالنا وقتل الكثير منهم لم يستطع الابتسام رغم محاولته قال مصطفى : إذا صديقه كافر وغدار فما ذنبه هو؟ لكمه أحد الأتباع معلقًا: هذا الشيخ حيدر سليمان أميرنا كيف تكلمه بسخرية أيها الزنديق..... تدخل حيدر وفرغ ما في قلبه من سباب و شتائم على الأسير وعائلته الكافرة وأمر معاونه أمير الموسوي بمتابعة حسان وإحضاره حيًا أو ميتًا.. فرح أمير بمهمة القتل فقد اشتاق لها منذ أيام لم يقتل أحدًا ، وخرجوا يتراكضون اتجاه مكان عمل حسان الذي وصلته أخبارهم فهرب قبل أن يصلوا إليه سأل صديقه عن أمر الغدر وقتل الرجال ضحك الصديق حتى استلقى على قفاه ...وشرح: الموضوع بكل بساطة هو أنني كنت مع حيدر وأمير نلعب لعبة بوبجي على هواتفها وحصل أني فزت باللعب فأصبحت كافرًا بنظرهم أصابت حسان نوبة ضحك هستيري من الدهشة لما جرى (رجال

وسلاح واقتحام حرمة بيت والأمر بوبجي تلك اللعبة الحقيرة ما هذه التفاهة؟؟؟؟؟) كان الأمر من السخافة بحيث لم يتدخل الكبار فيه مباشرة ولكن بعد شعارات فردية وتضارب بالعصي والمساكين ونزول الأسلحة النارية إلى ميدان المعركة أدرك العقلاء بضرورة حل الخلاف وتمت المصالحة مع دخول الشهر الفضيل شهر رمضان بعدها غادر المدعوون أمير الموسوي ويحضر سلمان إلى إيران بلا رجعة

****

الحورُ العينُ

تراكض الرجال ..باتجاهات متعاكسة...ارتطم بعضهم ببعض ..دب اليأس في قلوبهم ...مسافة طويلة تفصلهم عنه ...بضعة أمتار...الملجأ بعيد ..البعض استبشر ...صاح هلعًا ..بصوت مرتجف ..يخفي رعبًا شديدًا ..دون جدوى ...: آن الأوان ..واقترب اللقاء .... لم يأبه لكلامه أحد ..الكل مشغول بقيامته...أرسلت الطائرة حقدها...زارع القتل وحاصد الأرواح بالجملة.. بسرعة كبيرة أدرك حسن الملجأ..لحق بالكثير من رفاقه..يحمل سلاحه على ظهره ..وعينه إلى السماء ..تجمعت الأرواح في أقفاص الصدور.. منهم بدأ يختنق قبل وصول الموت.... كالطيف مرت حياته كلها أمام ناظريه..الطفولة ..والشباب ..والبرزخ بينهما ..درس وتخرج في معهد الطب البيطري بحلب.. قامت الثورة ..كان من أوائل المتظاهرين .. نال نصيبه من الكدمات والمطاردات وعند تسليح الثورة ..حمل سلاحه وانتظم مع بعض أقربائه في إحدى كتائب الجيش الحر.. لم يكن مرتاحًا كما رفاقه ..فالسلاح قليل والذخيرة شبه

معدومة ..والمال شحيح...تعرضوا للابتزاز من قبل بعض أمراء الحرب ..وتم دفعهم بقوة إلى أحضان الغول الدموي ذلك الفصيل الذي يحمل اسمًا إسلاميًا..خالصًا ..ولكنه يبتعد عن الإسلام بعد الثريا عن الثرى ..دولة الخلافة ..كما أسماها صانعوها من غرب وعرب .. أو اسم الشهرة ..داعش... انتقل معهم من مكان إلى آخر يقاتل من يقول لله الذين يبتزونه دينيًا ..يسمونهم أمراء ..وهم أقرب للقاذورات..:.هذا كافر اقتله ... وهذا مرتد اقض عليه.. حتى أصبح العرف عنده كل ما هو غير داعشي كافر أو مرتد يجب قتله.. أسقطت عنه الفروض والطاعات من صلاة وصيام ..وزكاة وحج..بحجة أنه مجاهد ..ترك عباداته خلف ظهره ...وصار دينه القتل والقتل تحول إلى وحش..قاسي القلب والروح.. ظالم النفس .. كما حال جميع رفاقه .. نظر إلى الوجوه من حوله ..سوداء خالية من الدم من أثر الخوف..زفر زفرة ..وتنهد :آه يا عين العرب ..أشعر أنها النهاية.... أضاء ناشر الموت السماء ..تناثرت الحجارة ..تظاهرت ضد الطائرة واحتجت ...ثم تهاوت بعيدًا ..تراكمت الجدران فوق رؤوسهم ..المحظوظ منهم تخلصت منه روحه وصعدت إلى حسابها ...والباقي بين

فاقد للوعي ...وبين مصدر أنين..طغى السكون على المكان ..واستعمرتهم دهشة الموت ..ناداه أميره فاخر ذلك الذي بالدم شقيق أبيه : حسن ....حسن .. لم يجب أحد ...شارك العم ابن عم له ..أمير هو الآخر ...اختلط صوتاهما بالنداء ..والاسم حسن..لحظات سمعا صوت أنين ..ثم ..نادى من تحت الركام ..:أنا هنا ..أنا جريح ...أخرجوني .. هم العم أن يبدأ بإزالة الحجارة ليتسنى له إنقاذ ابن أخيه ..نظر إلى ابن عمه ..كان واقفًا يتأمل..ويتمتم: ماذا تفعل؟ أجاب: هيا لنبدأ بإزالة الركام وننقذ الفتى ومن معه من الأحياء .. ابتسم ابن العم ...وهز رأسه بعتب وأفتى: يا مؤمن ..هذا الفتى كتبت له الشهادة ..وهو سيذهب إلى حيث الحور العين ..ويهنأ بحياة أبدية هناك ..لماذا تريد حرمانه هذه النعمة ؟!!! بهت العم فاخر ..تكلم شبه هامس:ولكنه حي ..ويقول أن جرحه ليس خطيرًا.. ...ضحك المجرم ..أقصد الأمير الآخر ..ابن العم : ولكن إن تركناه نال شهادة نحسده عليها ... ران عليهما الصمت ..لحظات ...هز العم رأسه..مؤيدًا.. التفت إلى حيث الفتى ناداه :حسن ..أنت ستذهب لتستمتع بالحور العين ... بلغهن سلامنا..سنلحق بك حين تحين فرصتنا ... الوداع يا ابن

أخي...كم أغبطك.. سارا جنبًا إلى جنب ..رسما ابتسامة على وجهيهما فرحًا لما ناله حسن من التكريم ... والحسد يملأ قلبيهما

****

المطاردُ

يزيد من سرعته...يشعر بحوافر الخيل تخبط الأرض تحته..يتخيل الأيدي القاسية ..تمتد نحوه..تحاول الإمساك به..تلتقطه ..يهاجمه الرعب..يكبر الخوف داخله..يخاف أن يلتفت إلى الوراء ..فقد تقع أعينهم على عيونه ...يندب من الخوف..ويتابع العدو ....يتوقف قليلًا ..ينهكه اللهاث..... يجلس تحت شجرة رتم صغيرة ....يختبئ ..تهتز الأرض ..إنها وقع أقدام ..يفز واقفًا ..يمشط المسافات بنظره..لا يرى أحدًا ..يشعر بالمكيدة ..ينطلق راكضًا..يدخل حقل عوسج ...يضيع بلونه ..رغم قسوته ..يخفف سرعته ...يستعيد بعض أنفاسه...يقبع تحت ظلال شجيرات العوسج.. يمر شريط الذاكرة...في رأسه الصغير...بدأت صورة القفص الأصفر تتماثل أمامه وبدأت تظهر في مخيلته صور أقرانه وهم يتنقلون من زاوية لأخرى...داخل القفص. الهلع بادي على أجسادهم .والخوف يسكن أرواحهم ..يتدافعون بعيدًا عن باب القفص يصرخون مستغيثين...ولكنها صرخة في وادٍ

سحيق ...يذهب الصوت فيه ولا يرجع حتى صداه .. ثم تمتد من فتحة باب القفص المفتوح ...يد ..بشرية كبيرة تلتقط أحدهم ..بل أقربهم إلى الباب.يصرخ بكل قواه ...يحاول عبثًا الإفلات ..يثير ضجة ...يناشد كل المخلوقات أن تنقذه...يحاول رفاقه مساعدته ..يصيحون معه ..ولكنهم سرعان ما يسكتون..خوفًا من أن تمتد اليد البشرية مرة أخرى ..تخرس أصواتهم..يتابعون ما يحصل أمامهم لأخيهم...يسجى على الأرض ..تتقدم قدم بشرية كبيرة ..تدوس على أجنحته ..فتهرسها..يد بشريه تمسك رأسه ..ترفعه قليلًا ..ويلمع معدن قاس...ذو طرف حاد جدًا ..إنها السكين ...توضع على رقبة المسكين..... وتحز الرقبة الرفيعه..فتقطعها ...ويرمى الرأس جانبًا ..يثور الدم في المكان ..ينتشر بجميع الأركان وكأنه يقول:...ويحكم سيحين دوركم... يحمل الجسم بسرعة فيوضع في برميل كبير يقسو البرميل عليه ..ويقسو على البرميل ..تتعالى صيحات البرميل ..وضجيج الجسد...يصمت البرميل ..ويعم السكون على جميع من في القفص...يصرخ بهم :الباب مفتوح ...هيا بنا نهرب من هذا الجحيم ..لا أحد يرد عليه ..يرجوهم ..يتوسلهم ...ولكنهم أعلنوا إجابة

واحدة أذهلته ..وأيقن أن لاخلاص..قالوا :إذا حاولنا الهروب ...سيذبحوننا ..!!! ولكنه لم ييأس بقي يحرضهم كل يوم ...بعض الشبان من جيله اقتنع بوجهة نظره ..وخططوا معه للهروب ... اغتنموا فرصة انشغال البشر..بأفعالهم...وهرعوا إلى الباب المفتوح ..وانطلق كل منهم بجهة مختلفة عن الآخرين ...حسب الخطة ....وكانت المطاردة ...لا يدري شيئًا عن مصير رفاقه ... شعر بالخوف ..وخزته مازحة.. أشواك العوسج ..تابع الركض في الطريق..اعترضته الثعالب ..حاولت أن تستدرجه ..: تعال معنا ندلك على الطريق ....وبحكمة الفرائس ..اكتشف خبثهم ...هرب منهم .تعرض لكل الأهوال والمصاعب ..طاردته الضباع وكل الطامعين...كاد أن يموت غرقًا عند عبوره بحر(إيلان)...رأى طريق الخلق الذي نصفه غواية الثعلب... ونصفه كتاب نبي. تابع هروبه خائفًا مذعورًا ...يشعر بمطارديه خلفه على وشك الإمساك به ...يزيد سرعته...يجتاحه الشقاء ...ويستعمر قلبه الحزن...ولكنه كابر على جراحه وتابع هروبه..لم تضعف همته ولم ييأس..وفي صبيحة يوم جميل.....أطل على....مروج (ماري)..وجد الكثير من أبناء جلدته..اهتموا به وضمدوا

جراحه ...قص عليهم قصته ..طمأنوه :لا تخف فقد نجوت ...هنا كل شيء مختلف. هنا الأمن والأمان ....وأرض السلام...والحريات..حتى الذبح يتم بطريقة ...راقية ..لا تشعر أنك ستذبح ..يتم إعطاؤك شرابًا خاصًا ...فتنسى نفسك ...ويتم ذبحك والسعادة تغمر قلبك...ولا تشعر بحد السكين .... فرح.. شعر بالأمان ..نظر إلى أهله الجدد بكل محبة ...قال مبتسمًا :ياللسعادة التي تعيشونها....

****

صفقةٌ

لم يكن الأمر سهلًا.. فقد احتاج وقتًا للتخطيط ..واحتاج إلى شخص يساعده ...في تنفيذ تلك المهمة ...الحديد قاس..عديد من نصلات المنشار تكسرت ...ابتسم فقد أنجز شيئًا...خائفًا يتابع العربات المارة على الطريق ..همس لرفيقه :لقد انتهيت من هذا القائم ..ذراعي تشجنت ...لكن الجائزة تستحق المخاطرة ... أشار إليه رفيقه بالانتقال إلى القائم الآخربأسرع ما يمكن ..بينما يقف هو أمام عربة صهريج المياه ..رافعًا غطاء المحرك ..للتمويه بأنه يصلح المحرك .. تحمس كثيرًا للعملية وجائزتها ... ناداه محمد: أعطني نصلة منشار جديدة ... تذمر قاسم ..: ما بك يا سائق الصهريج ؟ ..لم يبق سوى اثنتين ..هيا إنهِ هذا العمل ..بسرعة .. لم يجب محمد وتابع عمله .. الشوق وانتظار لقاء أحبابه ..دفعاه للسير في طريق لم يتخيل نفسه أن يطأه في حياته ستة أشهر غياب عن أهله وأحبابه وأصدقائه ... حاول كثيرًا ... لكن الرفض دائمًا يصدمه .. : أنت سائق صهريج المياه

الوحيد .. ولا يمكن الاستغناء عنك ..في اللواء .. سمع هذا الكلام عدة مرات من قائده..حتى جاء ذلك اليوم الذي اعترض فيه سيارة الضابط الأكبر في اللواء ..وشكى له ما يعاني .. طالبًا إجازة حتى لو كانت يومين ... أمره الضابط الكبير أن يتبعه إلى مكتبه ... وهناك عقدا صفقة ... الضابط عنده مزرعة بلا باب خارجي وتمنى لو أنه حديد .. يحصل بعدها سائق الصهريج على إجازة عشرة أيام .. طلب محمد من الضابط مساعدة أحد رفاقه ..وافق الضابط .. انتهى قص القائم الثاني وهوت اللوحة الكبيرة على ظهر الصهريج ..أحكما رباطها .. ضحك الضابط كثيرًا وفرح فقد كانت اللوحة الكبيرة كافية لصنع باب حديدي كبير .. ولكن على السائق أن يشتري علبة دهان ...لتمويه ما كان مكتوبًا عليها

****

شيشْ بيشْ

السلام عليكم... كيف حالك أبو النور..؟ :وعليكم السلام ..أهلا أبو الكوثر ..أشرقت الأنوار..اجلس .. جلس على السجادة الصغيرة الممدودة على الرصيف عند زاوية المسجدالجنوبية الشرقية تحت ظلال شجرة خضراء وارفة (مظلة)يغطي ظلها مساحة تكفي للضيوف وبسطة الدخان المليئة بكل ما لذ وطاب من أنواع السجائر والتبغ ..والمعسل ... قدم له كوبًا من الشاي...سأله:ما هي أخبار المياه في حلب ..يا أبو الكوثر؟ رشف من الكوب رشفة من الشاي ..أصدر صوت صفير ..التفت إليه راسمًا على وجهه بعض الحزن المختلط مع البهجة..:مازالت مقطوعة لم يتفق الأطراف بعد ...إنه اليوم العشرين .. الناس تعبت يا أبا النور... هز أبو النور رأسه بأسى وتحوقل...ثم أتبعها بحسبنة.....شاركه أبو الكوثر الحسبنة: حسبنا الله ونعم الوكيل... ولكن الموضوع أساسه موضوع الكهرباء..وانقطاعها المستمر... هز أبو النور رأسه متأثرًا: مسكين هذا المواطن... كثرت همومه ..من لقمة

العيش...وحتى الماء والكهرباء... أظهر بعض الحزن الممزوج بقليل من حبات اللؤم ..وسائل الخبث... استدرك قائلًا:ولكن الله يبلي ويعين، فبعد أن ابتلى الناس بقطع الكهرباء ها قد أعانهم بنا لنعوضهم ما فقدوه من ماء وكهرباء .... وافقه أبو الكوثر وأضاف:مع أننا نعاني كثيرًا ونتعب لتأمين الماء والكهرباء هذه سيارتي متفرغة لهذا العمل الإنساني وابتسم قبل أن يضيف :ولوجه الله ... تحمس أبو النور :وأنا أجهد كثيرًا جدًا في تأمين المازوت وصيانة المولدة ومراقبة القواطع وما شابه ....عسى الله أن يتقبل منا أعمال الخير هذه .. أوضح أبو الكوثر: ولكن هذه الأعمال مكلفة ماديًا ..لذاك نطلب من الناس أن يشاركونا هذه الكلفة .... سكت أبو النور ...رمق صديقه بنظرة طويلة ..ثم سأله : و..كم تأخذ ثمنًا للمتر المكعب من الماء.. أقصد الألف ليتر من الماء ...؟ استجمع أبو الكوثر كل ما يعرفه من المشاعر الإنسانية أضاف عليها بعض خلطات التأثر والأسى : قلت لك الكلفة فقط..يعني فقط ألفي ليرة سورية **2000** عن الألف ليتر من الماء ...هز رأسه ...وتحوقل... لحظة سكون قصيرة مرت قبل أن

يبادر صديقه بالسؤال :سمعت أنكم ستزيدون تسعيرتكم اليوم صح؟....تبادل الثعلبان ابتسامة مكر وخبث...أنزل أبو النور نظارته عن عينه ليمسحها ... : نعم سنزيدها مائة ليرة فقط لتصبح ألفًا ومائة ليرة فقط ...وذلك بسبب فقدان المحروقات من الأسواق وارتفاع أسعارها .. ضحك أبو الكوثر قائلًا: ولكن أزمة المحروقات انتهت وتوفرت الأسواق ....؟..عدل أبو النور واتكأ على أطراف الوسادة المشتركة وشرح:..ألا تعرف أن لنا شركاء هم يحددون الأسعار وذلك بتحديدهم ..لتسعيرتهم ...هم أسيادنا ونحن مطيعون ..هههههههههههه شاركه أبو الكوثر الضحكة قائلًا: هيا أين الطاولة ..أحضرها لأغلبك .. جلسا متقابلين ..الطاولة بينهما ...وتوزعا الأحجار ...ورمى كل منهما النرد لتحديد من يبدأ ..تابع أبو النور كلامه :ولكنني رجل يخاف الله ولا أضيع حق الناس ..فإذا صدف وجاءت الكهرباء أعوض للناس فترة توقف المولدة ...أحيانًا أبقي المولدة نصف ساعة كاملة ...بعد الزمن اليومي.. أبدى أبو الكوثر استغرابه من كثرة الناس الذين يتوافدون إلى المسجد...وببلاهة سأل صاحبه عن السبب أجابه الآخر:

اليوم جمعة يا رجل ... تابعا اللعب ...فطن أبو الكوثر فاجأ به أبو النور:قلت أنك تخاف الله..؟..ارتبك الرجل ضاعت الإجابه من عقله ... حك رأسه استجمع مكره ..هز رأسه موافقًا وهو يرمي النرد.. تابع أبو الكوثر : هل تصلي ..؟..صرخ أبو النور : دو شيش..هههه..نعم ..نعم الله يهدينا لإقامة الصلاة ..سيأتي يوم تراني أصلي وأتعبد ..وذلك عندما يهديني ربي.. وافقه أبو الكوثر..مؤمنًا: آمين ... و.....رمى النرد.

****

تأبطَ حبًا

الجو بارد جدًا غيوم داكنة وكثيفة تهدد بصب جام غضبهاعلى الأرض
ترسل ريحًا خفيفة باردة جدًا لايكاد الشخص أن يخرج يده من جيبه
إلا ويعيدها بسرعة قبل أن يفصلها البرد عن جسمه.....
كانا يمشيان يفصل بينهما مسافة أكثر من متر..هو يمشي بسرعة أقل من سرعته الاعتيادية في مثل هذا البرد القارس شديد القسوة
هي تحاول اللحاق به ...ولكنها تترك مسافة بينها وبينه ليبقى بعيدًا عنها نسبيًا يلتفت إليها يكلمها بعينيه وبهزة من رأسه
أن اقتربي مني ولا تبتعدي ..يتردد بالطلب منها أن تمسك يده أو أن تتأبط ذراعه..يهم بالقول لها ...ولكنه يحجم عندما تصل
الكلمة إلى لسانه..يسكت يمشي.. يتمهل وهي تحافظ على المسافة ذاتها

سمعت السماء حديثه مع نفسه ورأت تردده...وأحست بمدى حبه وولهه

وتوقه للمس يد تلك الفتاة المتحفظة قررت السماء أن تساعده وقرار السماء قرار في البداية أرسلت طلائع قواتها.....

زخّات مطرية على شكل دفعات.. سريعة متلاحقة

...كإنذار للناس أن تسرع الخطى وتفتح المجال لمن يحب المشي تحت المطر ..والغناء تحت المطر ..والرقص مع حبات المطر..خلا الشارع من الناس

إلا منهما بقيا يمشيان بنفس السرعة بنفس المسافة بينهما، بنفس الرغبات بنفس الآمال..والأحلام ..أرسلت السماء دفعة جديدة من قواتها التفت إليها نظرت إليه بعينين عنيدتين تأبيان إلا المحافظة على نفس المسافة..تؤجل كل أحلامها معه ..وتحبط كل محاولات قلبها للالتصاق به..تزداد سرعتهما قليلًا بازدياد قوة حرب السماء يتابعان المشي ..هي تكبت رغبة الإمساك بيده والتعلق بذراعه وهو يكبت رغبة الطلب منها خوفًا من طلقة رافضة أحسّا بثيابهما التي صارت المياه تنهمر منها وكأنها مزاريب قرر الكلام التفت إليها قائلًا :

سأشتري مظلة نتقي بها المطر
لم ترد آثرت الصمت..وقفا عند بائع يختبئ في دكانه خوفًا من نعمة السماء..اشترى المظلة..وقف لحظة و دار حديث بين عينيهما..انتهى بمتابعة السير ..لم يفتح المظلة..بقيت نفس المسافة وكل شيء آخر بقي كما هو....عندها غضبت السماء منهما فأرسلت كل قواتها دفعة واحدة فانهمر بحر من الماء يحمل كل غضب السماء تمهل هو ..هي
اقتربت..تقلصت المسافة بينهما بدون كلام اتفقا ...فتح المظلة..رفعها في وجه السماء ليتقي ضرباتها اقتربت منه ...وبهدوء تسللت يداهما ، تعانقتا تبادلتا الكثير من القبل والعناق ..
احتضنت ذراعه..أحس قلبه طار..... حلق في الفضاء ..سبح في بحار الحب ..وأمطار الشوق...رفع نظره إلى السماء شاكرًا وهامسًا :الله يبعث الخير ....تبادلا نظرة ذات مغزى
ابتسما ..تأبطا حبًا وتابعا سيرهما.

****

حارسٌ

كل شيء جيد .الأبواب موصدة بشكل محكم. والجدران سليمة. والله موجود . وبعونه سأمنع هؤلاء الحرافيش من أن ينالوا شيئًا.

سأجلس هنا على هذا الحجر .البارحة لم يكن هنا .أي ..أي. نعم .إنه ذلك اللعين ..

الارتجاجي الذي فتك ببيت أبي أحمد ..

يتابع حديثه الخفي مع نفسه. يجلس على كتلة من البيتون المتهدم .. حارة كاملة أمامه ..لا أحد فيها ..

وكما يردد (لايوجد فيها لاهابوب ولادابوب) .. الكل تخلى عنها ورحل . خوفًا ..وهلعًا لما يجري .

يمر أحيانًا بعض الحرافيش .يحملون بأيديهم أسلحة .لايدركون خطرها. يبحثون في البيوت المهجورة عن بعض الكنوز أو النفائس .. مما تركه الهاربون..

أحدهم يحمل على كتفه إحدى النفائس جرة غاز .. اثنان متعاونان. يحملان كنزًا . غسالة أوتوماتيك ..

لا يخافهم ولا يهابهم .فهم لا يتعرضون للبيوت التي يوجد فيها أحد. عرف هذا السر منذ البداية.خزنه في الذاكرة . وهو يتفقد بيوتهم.يرفع يديه إلى السماء. الحمدلله أنهم الآن في أمان .بعيدون عن هذا الجحيم.

يغيب لحظات داخل منزله .ليخرج بعد بضعة دقائق يحمل ابريق الشاي وكأسين .واحدة له وأخرى للضيف المتوقع مروره.

يستقر في تلك النقطة التي يشرف منها على مجموعة من الجدران والأسقف وبقايا أبواب .لترتسم في خياله حركة الناس وضجيجهم حيث الحياة كانت مستمرة .... يرتشف رشفة من كأسه وتمضي به الذاكرة إلى الخلف.حيث كانت الحياة تسكن بينهم.

****

هواجسُ الانتظار

بنبرة ..فيها الكثير من الأسى...وشيء من العتاب..يحاول ..لملمة نفسه وتجميع ثيابه على صدره ..متقيِّد البرد الشديد ..الذي يجلده بسياطه والتي بدورها تترك على جسمه علامات زرقاء على الشفاه..بشكل خاص ... والوجه واليدين بشكل عام...قال لأخيه التوأم:هل رجع جمو يا عبدالله؟.. وأشاح بوجهه باتجاه الأفق البعيد..يصر كتفيه إلى رأسه من البرد .. ..يحاول أن يمعن النظر ..لا يرى شيئًا ..فالظلام دامس..غاصت نظرته في الأفق البعيد على أطراف خياله وقريبًا من حدود حلمه الذي يرجو استقر غير بعيد عن أخيه..تفصل بينهما أمتار قليلة ..يقعيان .. عند سفح جبل عله يمنع قليلًا بعض البرد القارس الذي تمكن من جسديهما والبرد الآخر الذي استوطن روحيهما أجاب :لا لم يرجع...ولا أظنه يرجع... وغابا في صمت عميق...يحاولان استعجال الفجر ..روحاهما ترتجفان قبل جسديهما وكل الأسمال التي جثمت على كل واحد منهما لا تمنع عنهما البرد ..يفرك عبدالله رجليه

محاولًا تحريك الدم المتجمد وهو ينظر إلى رجليه أكمل حديثًا:هل تظن يا عمر أن السيد أبا حسن يرضى ؟واستدرك قائلًا: لا أظنه..فهو يختلف عن البشر...سيفتك بنا و بأملاكنا...وزفر زفرة طويلة.. رافقت الريح التي تحمل البرد إلى أبعد من الأفق..ثم أخفى قدميه تحته طمأنه عمر مستجلبًا بعض الأمل :إذا أدركتنا قبلهم نجونا..وأظننا سننجو.. ثم التفت إلى أخيه الذي يقعي مثل الشبح..بفعل البرد والظلام.... وهمس بصوت أحدث ضجيجًا داخله:ولكن لماذا قتلته؟...ما كان عليك فعل ذلك.. ما كان عليك أن تبتعد عنه؟؟..ثم ساد صمت ..عميق وطويل ..قطعته حشرجة عبدالله محاولًا أن يشرح قال يائسًا ينبعث الشقاء والحزن من روحه وبصوت خافت: تعلم إنني لم أقتله...هو من قتله رأيته بعيني...ولكنه هو الحكم والخصم رجفت روحه من البرد..لملم نفسه ...تنهد عميقًا...تابع نظره إلى الأمام حيث طلائع الفجر قد لاحت وأصبح يرى لمسافة لابأس بها..التفت إلى أخيه رأى ما ظهر من ملامحه تبادلا النظرات ..وتابعا النظر إلى الشرق ينتظرانها وفجأة التقت عيناهما ولكن هذه المرة الخوف كان قد استبد

بقلبيهما..هل سمعت الصوت ؟سأل عبدالله الذي كان أكثر رعبًا ..فهو يعلم أنه المطلوب الأول..فقد حاول أن يسلم نفسه حقنًا لدم أخيه عمر الذي رفض بشدة بسبب تجربته مع أبي حسن أجاب عمر بهزة رأس أن نعم قد سمع الصوت القادم من بعيد..أحسّا بشيء من الخوف والشقاء..وارتجاف قلبيهما صقيع قاطع للأوصال ..وبرودة طاغية أرادا النهوض تعثرا بسبب تجمد أقدامهما اقتربا حبوا من بعضيهما ثم كل منهما أسند الآخر وانطلقا باتجاه الشرق..وسط السهول ..عثرا على طريق ترابية ..سادت الرؤية المحيط كله...ومازالا منطلقين... فجأة ظهرت أمامهما..يعلو وجهها اللون الأحمر خجلًا وكأنها تعتذر عن التأخير شعرا بالدفء يسري في أطرافهما ومن ثم بروحيهما ..وتراقص قلباهما فرحًا ...لقد وصلت الحبيبة..تابعا الانطلاق جنبًا إلى جنب يحدوهما الأمل بالنجاة..والفوز ...بحريتهما.

****

هواجس 2

صمتُ الحلمِ

عمر يحلم بالنجاة وبالغوث...من أهله وأهل
ديارهم..ينطلق ونظره إلى
الأمام..يغازل الأفق بعينيه..عله يلمح ما يطمئن به قلبه
الملتاع....
فتظهر حوله ، أمامه أرض جرداء قاحلة لا زرع فيها...ولا
أي شيء أخضر..
عبدالله ينطلق شارد الذهن..فهو المشكلة أو على الأقل هو
من لبس هذا الأمر فقد كان حظه السيئ أن يصادف
ذلك الفتى ابن البيك أبي حسن..
ذلك الشاب المتغطرس والذي لا يشك لحظة أن الأمور
ستؤول إليه في أية لحظة
حيث كان في رحلة صيد وكان كلبه يحاول الإمساك
بالطريدة..حاول أن يساعد كلبه فأطلق إلا أنه لم يصب
الطريدة..أصاب كلب أبيه الذي اشتراه بمبلغ كبير جدًا
من تاجر الكلاب ذلك الغريب الذي يمتهن تجارة الكلاب

حيث يبيعها لكل بيك في كل قرية مما أتاح للأهالي رؤية كلاب بأشكال مختلفة ولكنها تشترك بصفة واحدة كلها مخيفة

مات الكلب واتهم عبدالله بقتله، لا يدري عبدالله لماذا تم اختياره دون غيره ليكون الضحية والطريدة

اعترضت أفكار الأخوين ، أجسام بعيدة تتحرك أمام الشمس مما يجعلهم كالأشباح تبادل الأخوان نظرة فيها الكثير من فرحة الأمل وبهجة الخلاص وبدا لهما أن الخوف قد تم قهره وأن الرعب الذي رافقهما طوال هذه المطاردة قد تلاشى ..فضاعفا سرعتهما..مبتسمين ..يكاد الناس الذين هبوا لنجدتهما أن يسمعا ضحكاتهما فتباطآ قليلًا ولكن الفرحة التي غمرت قلبيهما سرعان ما تلاشت هي أيضًا فقد ظهر المطاردون من جهة الشمال على ميسرتهم ..بنفس المسافة التي تفصلهما عن المنجدين..

....و كانت معركة..ابتدأت بطلقة من المطاردين...كان عمر يقاتل بضراوة يصول ويجول..وهو منتشي بقوته ..وبطولته ولكن أين عبدالله؟؟ أخي ...راح يصرخ ..مناديًا عبدالله ويبحث عنه، كان ممددًا على وجهه ..كأنه يقبل

الأرض..يتحرك ..يحاول النهوض يفشل فيعيد الكرة..كان كل شيء حوله يبدو له كما لو أنه في حلم حركة كثيرة أمامه وصمت عميق لا يسمع الهمسة..وكصارت الألوان كلها وكأنها موحدة...لون واحد لكل شيء يتجه شيئًا فشيئًا إلى السواد حتى صار كل شيء أسود...ثم ظلام دامس ثم فراغ....و بعده ..لون واحد مرة أخرى أبيض..ناصع ..وأحس نفسه يرتفع عن الأرض..وكأنه فقد ثقله رأى شقيقه عمر يركض..باتجاه جسد ممدد..ويصرخ بصوت عال..عبدالله..

لقد قتلته الطائشة

نظر عمر في وجوه المتحاربين من الطرفين لم يعرف أحدًا منهم..

كلهم غرباء...حمل أخاه وتوجه به إلى مثواه الأخير..

****

جبرانُ خاطر

قدمت له بعض الأوراق وبابتسامة:
أستاذ ممكن أن تتكرم وتلقي نظرة سريعة على بعض ما أكتب وتوجه لي بعض الملاحظات
كان هذا من دواعي سروره وفرحته ..فأن يطلب أحدهم أن يكون موجهًا أدبيًا هذا شيء أكثر من رائع ..وخاصة إذا كان هذا الأحدهم ...أنثى....يا للسعادة ...
أخذ الأوراق ...ثبت نظارته لبس قناع العبوس، أظهر الكثير من الجد ...قرأ..جملًا مفككة وغير مترابطة وألفاظًا باللهجة العامية و أخطاء إملائية بالجملة
اختفت علامات الجد، استبدل قناع العبوس بملامح مرتبكة وابتسامة صب فيها الكثير من الإحراج نظر إلى وجه جميل وعينين خضراوين يمتد الربيع فيهما مساحات مترامية وفم بابتسامة رائعة وشعر أسود ينسدل على صدر ناهد فتان ضاعت منه الكلمات ...سألها:
هل تقرأين الأدب؟ أقصد قصة شعر نثر ؟
بشيء من دلال أجابت: كنت أقرأ سابقًا لكن حاليًا

بسبب انشغالي الدائم لا تتاح لي فرصة القراءة ، ثم إنني لست شاعرة أو كاتبة وإنما مجرد أحاسيس أنقلها على الورق.

تكلم بصوت المعلم الأستاذ:

نعم ولكن لا يمنع أن تصقلي موهبتك في الكتابة و أن تزيدي قاموسك اللغوي بالكلمات والمفردات بقراءتك لأعمال الكتاب والشعراء مثل :جبران خليل جبران نزار قباني، محمود درويش أدونيس وغيرهم

نفضت شعرها بهز رأسها:

قرأت لكل هؤلاء الذين ذكرتهم لكن جبران يسبب لي الكآبة

ونزار قباني قرأت له الكثير هو جيد

محمود درويش لم أقرأ الكثير له

ابتسم لتقييمها لكنه تظاهر بتشجيعها ومصحح فكرة:

نعم ..ولكن من يقرأ كتب جبران فإنه يكتسب الكثير من المفردات الجميلة و التراكيب الرائعة

انتبهت للتلميح وأصلحت: ومن أنا لأنتقد جبران بالحقيقة أنا أذوب به، و أندمج بأسلوبه لذلك تصيبني كآبة

ضحك وقال مازحًا: ليس من الضروري أن تندمجي مع كتاباته فقط اهتمي بمفرداته
وتراكيب الجمل، لهذا الكاتب الرائع شاركت: هو نبي، أعترض على كلمة نبي : ليس لهذه الدرجة ..إنما هو مبدع في الأدب لا شك
أصرت :هو النبي لقبه وأنت تريد أن تجرده من هذه الصفة؟
تخندق في موقفه: هو ليس نبيًا ..هو مبدع فقط
هبت واقفة، رسمت على وجهها الكثير
من الصرامة والتحدي..:
لا..هو نبي ونصف.
حاول تهدئتها طلب منها الجلوس :
حسنًا.. ممكن أن يكون نصف نبي..
ثارت من جديد ...لكنه فطن للموقف وأيقن أنه سيخسرها إن تابع عناده الأحمق هذا..راح يساومها :حسنًا ..ما رأيك أن يبقى كل منا على رأيه أنت اعتبريه نبيًا ...وأنا أعتبره مبدعًا...؟...
لم تعجبها الفكرة تحركت أرادت الانصراف لكنها توقفت تقدمت منه و أشارت بسبابتها باتجاهه :يجب أن تقتنع

برأيي...

ارتبك ..دافع عن نفسه :

أقتنع رغمًا عن أنفي ما هذه الديمقراطية ؟

صفعته بنظرة ساحقة : أنا ما عندي ديمقراطية

أسقط في يده جلس هز رأسه:

نعم ..نعم هو نبي

ابتسمت وانتشت بانتصارها، لكنها بقيت منتصبة تهز بعضًا من ساقها...أضاف:

وأنا أراك آلهة الجمال فينوس...

ابتسمت أظهرت بعض الدلال جلست

موجة عارمة من الفرح داخلته

طلب لها فنجان قهوة

****

كلابٌ

أزيز الرصاص يملأ المكان ،ودوي الانفجارات الناجم عن صواريخ الطائرات .. تلهب النفوس خوفًا وهلعًا ..
بدأت مقدمة القوات الكردية تدخل حي بعيدين، تمشط المنطقة، الموت يخيم في الشوارع والحارات ..والكلاب الجائعة تلتهم جثث القتلى ..
وحده كان يقاتل ..تمترس خلف دشمته أمام جامع الحسين ..
الرصاص كالمطر ..لم يستطع تفاديها... أصابته إحدى الرصاصات في ساقه فقرر الانسحاب .. لكنهم أطلقوا عليه كلابهم الجائعة أمسكت به ..ومن مكان نزف الدم وجدت الكلاب مكانًا سهلًا للأكل ....
حاول التخلص من الكلاب لكن الذخيرة خانته كالعادة ... تحامل على جرحه .. حلاوة الروح تخلق للمرء أحيانًا قوى هائلة ..انطلق يركض هاربًا من الكلبين الباقيين ..لكن حظه التعس أوصله إلى حارة مسدودة .. انطلق بشكل مستقيم إلى باب البيت في عمق الشارع ...

الشيخ محمد رجل مريض .. طريح فراش... يترك باب المنزل مفتوحًا بشكل دائم، هو وحيد غادرته أسرته إلى بلاد الشتات .. لم يبق له أحد.. .. يرعاه جاره بشكل يومي يحضر له حوائجه ، دخل المقاتل التعس إلى منزل الشيخ، ودخلت الكلاب خلفه ، وقع على باب الغرفة التي يرقد الشيخ محمد فيها بوحشية الكلاب قطعت ساقه المصابة ..أخذها أحد الكلاب وصعد الدرج إلى السطح والكلب الآخر حصل على القدم الثانية .. بينما الرجل يصرخ بألم

الشيخ محمد ينظر إلى المشهد أمامه دون أن يستطيع فعل شيء، الخوف أحد طبائع الخليقة يكبر بسرعة عند لحظات العجز يسيطر على الروح ويضرب القلب بشدة .. أيقن الشيخ محمد أن دوره قادم ليكون الوجبة التالية للكلاب.. استسلم تمامًا للخوف الموت بشكل طبيعي شيء عادي نتقبله رغم حبنا للحياة ..ولكن أن تأكلنا الكلاب ونحن أحياء تلك هي مصيبتنا ..

كان المنظر فظيعًا، اهتزت روح الشيخ محمد، تركته وعلى وجهه علامات خوف بائسة ..ودمعة تختصر عجزه...

زحف الرجل بلا ساقين نحو باب المنزل كان أمله أن يصل إلى ذلك الباب البعيد... وصل.. وتابعت روحه إلى السماء..

جاءت جحافل القوات المنتصرة .. فتشوا المنزل، صاح أحدهم هناك جثة أخرى في تلك الغرفة ..
بعد مغادرتهم المكان .. كان على الجار أن يحفر حفرة ويدفن الجثتين ..الشيخ محمد وبقايا المقاتل... أمام المنزل .

****

قيادةٌ

يبحث عن قميصه في خزانة الملابس يصرخ ..يأتيه جواب :لقد تم كيّه وتعليقه على مشجب غرفة النوم ...
يهدأ ..ثم يعاود صراخه .:أين جواربي..؟ .. حركة الأولاد تصدر ضجة ...هرج ومرج ..
البعض انتهى من لبس ثيابه ..وآخرون يحاولون إيجاد مستلزماتهم ..وقفت الأم في المدخل ، أعلنت أنها ستسبق الجميع وعليهم أن يتبعوها ..
مشت باتجاه التلة خلف البيت ..لهث كثيرًا واستجمع أنفاسه ليخبرها أن هذا الطريق لا يناسب الهدف ..ابنها الصغير ..
نظرتها كانت قاسية زاجرة ..:هه وهل ستعلمني أيها الصغير ..
تسمر في مكانه ..انتظر أباه وأخوته وأخواته ..مشى معهم ..يتبعون خطا أمهم دهشوا جميعًا عندما رأوها تقف على حافة الهاوية أمامها خطأ في المسار وسوء اختيار الطريق ..نالت من الزوج الكثير من اللوم والتوبيخ ..

استعلى.... إنه هو من يعرف الطريق ..
على الجميع أن يتبعوه ..
لم يتمالك الصغير نفسه .. همس في آذان أخوته..:ترى إلى أي هاوية سنصل ؟
كانت يد أخيه الكبير ثقيلة عندما وطأت خد الصغير ..
هم الكبار وهم من يعرف الطريق جيدًا.. وعلينا اتباعهم.
مشى الجميع كقطيع ...

****

يومُ قيامةٍ

جبار..الغضب يملأ وجهه القاسي الذي يتلون بسواد الحزن ..الدموع مستنفرة تغرق العيون في بحرها.. الشفاه ترتجف تكاد تستجمع الحروف ..ثم تتراجع .... يضرب بقوة ..معوله كاد أن ينكسر وتلك الكتلة القاسية .. تتحداه ..تتحدى غضبه وجبروته .. ينهار ..لم يتعب لكن الشقاء أضناه والحزن أكل قلبه ..يحتضن كتل البيتون ..سقف بيته.. يتوسله أن ينزاح ..(ابتعد أرجوك ..تحتك أكبادي).. يساعده الفتى يزن ..يمسك ذراعه ..ينهضان معًا يحاول التماسك .. يحبس ذلك النهر المالح في عينيه..

يجلسه يزن على كرسي خارج حدود المكان (ارتاح عمي ...أنا والشباب نعمل ..وتوكل على الله) .. ينظر إلى ذلك الركام أمامه ..

في الصباح تركه قصرًا بعينه هو ..يحوي ملائكته الصغار وأمهم ..

مساء البارحة كانت تلعب معه عصفورته كما يحب أن

يناديها ..ضحكت كثيرًا .. ضحكت بحجم الحزن الجاثم في صدره الآن .. شاركها في اللعب أخواها .. قاسماها الضحك ... ونادوا أمهم التي زغرد قلبها لفرح أولادها ..

في الليل قبل أن يخلد إلى النوم تفقدهم .. السعادة تغمره لسعادتهم .. روحه تنتشي فرحًا بهم ..

رآهم في مناماته. ..سعداء فرحين يمرحون ويلعبون ..ينادونه :(بابا الحق بنا ..هيا بابا).. استيقظ ..أعاد الاطمئنان عليهم .. شعر أنه يريد أن ينام بينهم .. لم يفهم لماذا شعر بكل هذا الحب لهم ..ولكنه استدرك ..:(إنهم أولادي ومن الطبيعي..أن أحبهم... أكثر من حبي لنفسي).

في الصباح قبلهم ..ووعدهم بتلبية طلباتهم اليومية، ودع زوجته بتوصيتها بالأولاد وبنفسها...

كان الانفجار قويًا ارتجت له كل المنطقة صاح أحدهم :(صاروخ ارتجاجي..) طائرة الموت مازالت تحلق فوق المنطقة ..تهدد بصوتها المرعب .. والناس على الأرض كأنهم في يوم قيامة..الكل يركض ..الرجال والنساء ..والشباب ..والأولاد ..لا يهم الاتجاه إنما المهم الركض ..

رأى الغبار من فوق بيته ... حاول الركض ..ارتجفت أقدامه ..هوى على الأرض.. شعر أن قلبه قد سبقه .. نادى

بأعلى صوته :(يا رب).. نهض من جديد صور أطفاله
كانت الشحنة القوية التي أمدته بالقوة ..
كان يركض وروحه تطير منه تعانق أولاده وزوجته .. ما
أطول المسافة وما أقسى الفاجعة ...
البيت كما بيوت جواره كلها أمست ركامًا .. والناس تبحث
عن أكبادها قلوبها وأرواحها

****

تعايشٌ سلميٌ

ظن أنه مرحب جدًا أكثر من غيره، فرح كثيرًا بذلك الشعور .حتى أن ابتسامته
استمرت طويلًا .ينظر بود ومحبة لزملائه الضباط الذين آثروه على أنفسهم ...
ويكاد يكيل لهم آيات الشكر والامتنان لما قدموه له .حتى أنهم قالوا له :
بإمكانك أن تستغلها وحدك دون شريك .ولن يدخل إليها أحد وخاصة
في الليل .وضع حقيبته وأخرج ما فيها ..علق الثياب التي سيلبسها على
المشجب ..و..أخفى بعض الأطعمة الخاصة تحت السرير ..لا زالت
الابتسامة تلازمه .دمدم :يا لكرم هؤلاء الضباط لقد أعطوني الكرفانة لوحدي .
ارتدى ملابسه العسكرية .أخرج من حقيبته رتبته العسكرية نجمة واحدة زينت كتفه ابتسم لوضعه

ودمدم:كل هذا مؤقت وسينتهي....
ثم خرج لمزاولة تلك الطقوس العسكرية انتهى النهار ..عاد إلى قصره رفع طرف الناموسية ورمى نفسه تحتها فوق السرير وأغمض عينيه .
غارقًا في نوم مليء بالأحلام ..سمع صوتًا غريبًا في سقف الكرفانة .لم يكترث .
عاد الصوت ..ظن أن الهواء يحرك بعض الأشجار القريبة التي تصيب ألواح التوتياء فتحدث هذه الأصوات ..تكررت الحركة والصوت...
ناداه النقيب علي ...نهض وعدّل هندامه و..قدم نفسه ..للنقيب الذي ابتسم له قائلًا: أنت زميلنا الجديد ونحب الاطمئنان عليك ..ولكن مهما سمعت من أصوات لا تهتم ...هي الرياح ..
ضحك النقيب وشاطره الرائد الضحك ارتبك قليلًا ثم تشارك الجميع الضحك وبعد سهرة قليلة استأذن من أصدقائه الجدد .نام ليلته الأولى على أنغام صوت صفير الرياح المزعوم....في اليوم الثاني عاد من مهامه تعبًا تمدد على سريره .لم يغمض عينيه ..كان شاردًا ينظر إلى السقف ...

فجأة تسمر في مكانه ...انكشفت أسباب الصوت والحركة...وعرف سر الكرفانة وسر ذلك الإيثار شعر بالخوف ..واحتار في أمره ترى هل يصرخ.

فكر : لا الصرخة ستحقق الغاية من المقلب لم يتحرك .فقط أخذ يراقب ثعبانًا أسود طوله بحدود **1.5** متر

..يتبختر على السطح الداخلي للكرفانة بكل ثقة وهدوء ثم دخل بين الخشب والتوتياء .

خرج مسرعًا ابتسم الرائد ..: مابك أيها الملازم ..هل رأيت شيئًا؟

أجابه :لا..لا..فقط أحببت أن أتمشى

ودمدم :لن أظهر خوفي مهما حدث وأخذ يتعايش مع ذلك الحيوان يراقبه كيف يتحرك، أعجب به وبحركته الانسيابية

صار الانسياب فلسفته ...أحيانًا يمل فيحدث حركة بقدمه على السرير .

يسمعها الحيوان فيختفي في السقف وأحيانًا لا يراه ...فيشتاق لرؤيته

يصدر صفيرًا خفيفًا بعد قليل يظهر الحيوان ويقوم

بجولاته ....
وهكذا مرت سنة ونصف السنة انتهت وهو يتقاسم الغرفة مع الثعبان ...
لم يزعج أحدهما الآخر...بل يبدو أن أحدهما تعوّد على الآخر..
يشعر أنه قد أحب ذلك الثعبان الأسود كبير الرأس، لم يشتك ..ولم يترك الكرفانة رغم محاولة الأصدقاء ..والاعتذار من ذلك المزاح ..
إلا أنه كان يبتسم ويقول :إنه شريكي كيف أتركه ...؟ هل أستطيع ترك حبيب..؟
يضحك ..تصل الدعابة إلى قلوب الزملاء يبتسمون...
عندما كان يهم بتسليم أشيائه إلى أمين المستودع كان أحد الضباط الجدد يحمل الثعبان بيده مفتخرًا بقتله ...ولكن فرحته لم تكتمل فقد ظهرت نسخة ثانية من الثعبان ...هاجم الجميع بشكل عنيف ..
كان يرفع رأسه بارتفاع **30**سم ويهجم مسرعًا
لبس ثيابه المدنية وحمل حقيبته ثم غادر المكان ...كانت الكرفانة تحوي أكثر من ثعبان أو قد يكون فقط ذكر

وأنثى ...ولكنه تعايش معهم دون أن يؤذوه ...أو يؤذيهم...
بل إنه قد أحب هذه المخلوقات

****

رهبةٌ

نادى المدير آذن المدرسة أبا أحمد ..رجلًا ضخمًا متجهم الوجه قاسي الملامح..
(خذ هذا الطالب إلى الصف الأول شعبة ثالثة).. أسقط في يدي نظرت إلى أمي التي استدارت مغادرة ..
حاولت أن أصرخ .. أن أناديها لكن صوتي اختنق مع قبضة يد أبي أحمد القوية على زندي ..مشى وسحبني معه..
يسري الخوف في دمي.. والرعب أوهن قدمي وأنا متعلق بتلك اليد الحديدية التي تسحبني وكأنني كيس فارغ ...
في الممر إلى الصف راحت ذكرياتي إلى العام السابق حيث قرر أبي أن يرسلني إلى شيخ الكتاب كي أتعلم اللغة العربية استعدادًا للعام القادم حيث سيسمح عمري بدخول المدرسة ولكنني وطوال عام كامل تعلمت حرف الباء فقط .
مازالت ضربات خيزرانته تؤلمني . تعمق جراحًا ملتهبة في روحي ،أخبر أبي أنه لم ير في حياته طالبًا أكثر فشلًا مني .
أنظر إلى أبي أحمد ..وأتخيل شكل المعلم وتحضرني صورة

شيخ الكتاب..والخيزرانة
كلما اقتربنا من الصف ازددت توترًا ورغبة في البكاء...
طرق الباب ودخل مباشرة وخاطب المعلم (هذا طالب جديد ..متأخر قليلًا لكن المدير قبله وبعثه لعندك) وخرج ..
نظر إلي المعلم خفت واتقيت بذراعي عن وجهي خوفًا من شبح الخيزرانة ...
اقترب مني قليلًا ..لم أعد أسيطر على نفسي أجهشت بالبكاء ..
أرفع يدي إلى مستوى وجهي وأحلف له أنني لم أفعل شيئًا!!!!..
ابتسم لي ،أخرج من جيبه قطعة حلوى وأعطانيها .
أخذتها خوفًا وليس حبًا ..
طلب مني أن آكلها ..فعلت أيضًا خوفًا ..
راح يكلمني ويسألني أسئلة بسيطة في البداية كان سلاحي الصمت.. أخاف أن أرد فتظهر الخيزرانة من خلفه
أخذ المعلم يسايرني يبتسم كسبت قطعة حلوى أخرى
يرسم بيده حركات وبوجهه .. هدأت قليلًا ، تابع في رسم الحركات ابتسمت ..ضحك ..التفت إلى الطلاب آمرًا

(صفقوا لزميلكم الجديد) صفق الطلاب بفرح ..
أجلسني في مقعد متقدم نظرًا لحجمي الصغير ..
اختفت الخيزرانة من خاطري ..
عدت طفلًا سويًا.

****

حبٌ وفيس بوك

وجدت فيه ملاذها لتهرب من عذاباتها وما أصابها بعد فقد ابنها في حادثة مروعة على يد أحد أصدقائه حيث أصبحت مساحات تركيا الواسعة ضيقة على روحها وذاتها نصحها أن تقدم طلب لجوء عن طريق الأمم المتحدة ففعلت وكان حظها أن يتم قبولها في نفس البلد الذي يتواجد به ذلك الحبيب البعيد والذي أمطرها بكل كلام الحب والغرام ما سمعته وما قرأته في الكتب فأثمل عقلها وثبت نفسه في قلبها لم تكن سهلة ولكن حياة الوحدة وعبء الأولاد الثقيل قد أنهك عمرها وسمم حياتها فقد وجدت فيه المنقذ والملاك الذي سينتشلها من أوجاعها إلى جنة الحب السعيدة في المطار كان بانتظارها استقبلها بحفاوة وبشاشة لا توصف ثم نقلها بسيارته إلى مركز تواجد اللاجئين الجدد

في اليوم الثاني جاء وكان معه رجل ملتح متوسط العمر عرف عنه أنه فضيلة الشيخ

وطلب منها أن يكتب عليها الكتاب ليتم الزواج بسرعة.

لم يعطها الفرصة الكافية للتفكير أو استشارة أحد و تم الزواج، عاشت معه بضعة أشهر جميلة إلا أنها اكتشفت فيه بعض العيوب لم تقبلها ولم تحاول إصلاحها بحجة أنه ليس صغيرًا

ذات ظهيرة جاء إلى البيت مسرعًا وطلب منها توضيب الحقائب لأنهم سيذهبون لزيارة عائلة أحد الأصدقاء وقد يقومون بزيارة بعض المناطق السياحية في هذا البلد الجميل

استقبلهم الصديق مع عائلته بحفاوة وكل مظاهر حسن الضيافة

في صبيحة اليوم اليوم الثاني اعتذر المضيف من ضيوفه لبعض الأعمال الخاصة مع عائلته ترك معهم طفله الصغير ذا العشر سنوات

ذهب أصحاب البيت وذهب خلفهم الزوج الضيف تاركًا زوجته العروس في البيت مع الطفل

رجع مع المغرب وصعد مباشرة إلى الدور الثاني من المنزل لم ينتبه أن زوجته في الصالون حاولت لفت انتباهه دون جدوى

انتظرته منشغلة بمسلسل ممل يحكي عن علاقات إباحية

من تلك المسلسلات السورية
انتهت الحلقة ولم ينزل الزوج
مع ذلك بقيت حيث هي ...ولكنها تذكرت الطفل فأرادت أن تصعد وتطمئن عليه
صعدت الدرج بهدوء إلى وصلت إلى غرفة الطفل وجدت الباب مواربًا وقفت أمامه لحظات وهي مشدوهة.....
ونزلت مسرعة خائفة
جلست في الصالون ترتجف وعيناها لا تفارق الدرج
تنتظر نزول زوجها
تأخر كثيرًا حتى نامت
في الصباح ألحت عليه أن يرجعوا إلى بيتهم
استجاب لدموعها ورجعوا إلى بيتهم
بعد فترة ليست طويلة جاء للزوج إخطار بالحضور إلى المحكمة
حاولت الاستفسار ...فلم تفلح في العثور على جواب
بعد جلسة المحكمة اتصل بها ذلك الرجل الذي استضافهم في بيته وطلب منها أن تشهد ضد زوجها
رفضت وبشدة وأخبرته فأجابها أنهم يفترون عليه من أجل أن يأخذوا أمواله .

قبلت عذره مع بركان شك وريبة..بعد مدة وجيزة جاءها هي شخصيًا إشعار محكمة
بتهمة الاشتراك مع زوجها بجريمة أخلاقية
خافت وأخبرت زوجها لكنه طمأنها وهدأ روعها وأقنعها أن الموضوع تافه ولا يستحق التفكير
ذات يوم جاءها اتصال وكان المتكلم على الطرف الآخر امرأة عرفت عن نفسها أنها
الزوجة الأولى لزوجها في الحقيقة هي لا تعرف رقمها ضحكت المرأة المتصلة منها وأعطتها رقم الخامسة أو السادسة وقصت لها قصص زوجها المشينة وانحلاله الخلقي وشذوذه، صدقتها بعد أن تذكرت ذلك المشهد الذي رأته من خلال الباب الموارب، حيث كان الطفل عاريًا تمامًا والرجل خلفه يجلس.
بعد أن أغلقت الاتصال مع المرأة اتصلت فورًا بذلك الرجل المكلوم وأخبرته أنها
ستشهد معه في المحكمة ضد زوجها الشاذ
كان يريد زوجة كواجهة اجتماعية يختبئ خلفها متدثرًا بعاره وسقطاته فتم كشفه وخسر هذه الزوجة أيضًا..

البابُ والنائمُ

إن الخوف الذي يقبع داخلنا يفوق الخوف الذي نلمسه على الواقع بأضعاف كثيرة يكفي أن يثار هذا الخوف لينتفض كالبركان.. يغرق نفس صاحبه بهواجس ووساوس تكاد تقتله

قررت أن أنام مجرد أن يتم إطفاء المولدة المركزية....

وفعلًا الساعة الوحدة بعد منتصف الليل كنت غارقًا بنوم عميق يزخر بالأحلام والرؤى في مثل هذه الحالة يكون النوم جميلًا..ولذيذًا....وفجأة سمعت طرقًا قويًا على الباب ..يبدو أن الطارق قد عاود طرق الباب مرات عدة...فتحت عيني ...نظرت إلى الساعة..كانت الساعة قبل الثانية بعشر دقائق ، لم أتحرك من مكاني ..إلا أن الطرق ازداد قوة صحت من مكاني .بصوت عال لا يخلو من رعب وخوف....من؟.

جاءني الرد أصوات عدة نهضت مسرعًا بشكل لا إرادي واتجهت إلى الباب ....

الباب البعيد جدًا، ركضت المسافة الحقيقية بين مكان

نومي والباب بحدود عشرة أمتار ولكن أظنني ركضت عشرات الكيلو مترات...بسرعات شديدة
كنت متجردًا من ثيابي ...خطر لي أن ألبس شيئًا لكن..الضجة ..والصوت من خلف الباب أن أفتح..منعني عندها أيقنت أني هالك لا محالة ..إما الموت أو مكان أبشع من الموت....
ترى ماذا فعلت؟وأخذ شريط الذكريات لكل مراحل حياتي ...يمكن من قبل ولادتي إلى يومي اللعين هذا حدثت الذكريات بأقل من ثانية كاملة
ازدادت الضجة خلف الباب ...استجمعت ما بقي عندي من قوة وفتحت الباب متجردًا من ثيابي..ورأيت..!
كانوا ثلاثة شبان ..النصف الأسفل من ثيابهم مموه وبكل خوف نظرت إليهم أن ماذا تريدون ؟
بادرني أحدهم بسؤال:البراميل على السطح ..لمن؟
بالحقيقة فرحت للسؤال وأجبت بسرعة جارنا في الطابق الأول
سألني الثاني :هل تصعدون إلى السطح بالليل؟
قلت: نحن بالنهار لا نصعد خوفًا فكيف نصعد بالليل ؟
وبدون أي كلمة وبشكل سريع...ذهبوا.....

بقيت واقفًا على الباب ..وشريط الذكريات توقف والرغبة بالنوم ..تلاشت..فأكملت سهرتي...مع كل المشاعر المختلفة

****

حافيةٌ

سيدي الوزير : أتذكر تلك الفتاة التي تقدمت بطلب إلحاقها ببعثة إلى إسبانيا لإكمال دراستها عن اللغة الإسبانية ؟

يقلب الوزير بعض الأوراق أمامه .لا ينظر إلى مدير مكتبه : ألم نوافق لها على طلبها ..اعتقدت أنني وقعته ..

يتقدم المدير خطوة إلى الأمام موضحًا: بلى سيدي ..ولكنها اعترضت على بلد البعثة ..

يرفع الوزير نظره إلى مدير مكتبه غاضبًا : لو لم تكن من طرف أبي حازم لألغيت بعثتها .. لقد اخترنا لها أجمل البلدان وأرقاها حضارة وعلمًا .. روسيا ..!!!

رفع رأسه مفتخرًا ..

تمتم المدير محاولًا الابتسام: سيدي هي تريد أن تتخصص في اللغة الإسبانية ... يعني تريد البعثة إلى إسبانيا أو فرنسا ..

ينتفض الوزير ..يرمي بقلمه فوق أوراقه .. يتذمر : ولكنني أرى أن روسيا أفضل لتعليم اللغة الإسبانية ..

انتهى ..

أعطني الطلبات الأخرى ..

يتقدم المدير بورقة .يضعها على الطاولة ..

يقرؤها الوزير يضع إشارات بجانب بعض الأسماء ..يأمر مدير مكتبه :

أضف هذه الأسماء إلى البعثات الأخرى .

يسأل المدير :روسيا سيدي ؟

يحدجه الوزير بنظرة قاسية .. نحن لا نثق إلا بروسيا ..

ثم هناك مكتب قد تعاقدنا معه لأجل البعثات إلى روسيا .. مبلغ الخمسة آلاف دولار عن كل اسم مهم جدًا ..

يهز المدير رأسه مبتسمًا تذكر أن له حصة منها

تابع الوزير : تعلم أنني هنا كل دقيقة محسوبة علي وهناك من سيحاسبني ..فمن اختارني واقترح اسمي عند القيادة لم يفعل هكذا لمحبة في شخصي ..يتوقف عن الكلام ثوانٍ ..يقترب من الآخر :

تعلم يا أبا الليث أنك يجب أن تطعم التسعة حتى تأكل العاشر ..

هز المدير رأسه موافقًا ..

استمع إلى بقية حديث الوزير بكل انتباه واهتمام ..إلى

أن أشار له الوزير بالخروج .
أمرك سيدي ...أمرك سيدي
يردد الآخر العبارة وكأنها أسطوانة مشروخة ..
يخرج ...ينفش ريشه .. يخاطب فتاة تجلس منتظرة على كرسي :
الوزير وقته ثمين ولا يستطيع مقابلة أي شخص .
وأنت بعثتك إلى روسيا وهذا نهائي .. الله معك ..
تخرج المسكينة ... تشعر بالغضب ..تعلن اعتراضها ..بخلع حذائها ..وضعته تحت إبطها ..ومشت حافية ..

****

هما

كان كل شيء هادئًا ...أمواج البحر كانت هادئة .القمر كان بدرًا هادئًا، شيء من النسيم الهادئ يخيم على الكلمات، كان الحب ينساب بين أيدي السراب والوهم انسيابًا...وكانت المشاعر تنمو بين الكلمات

وتتجذر وكان كل منهما يرسم للآخر صورة..

الوهم رسم صورة كبيرة كلها ورود وأزاهير ورسم في وسطها قمرًا جديدًا ليس كالقمر الذي يعرفه الناس، كان مختلفًا، أبيض ناصعًا لا يخدش بياضه إلا حمرة الخجل قمرًا كان يشبه السراب بفتنته من بعيد وتلاشيه في الاحتضان

فأحبه حبًا كبيرًا ولكن في الظلام ....داخل قلبه فقط ...خاف عليه من باقي الأشياء.

السراب لم يرسم صورة ولكنه صنع للوهم تمثالًا جميلًا جعله طويلًا وجعل شعره أسود يتطاير ويغطي وجهه أحيانًا، ليرفع التمثال يده بكل هدوء ويزيح الشعر العاشق للخدود الجميلة ، وذهب بعيدًا جدًا ليعود بعيني

ريم بهدب أسود جميل ليزين بهما وجه التمثال وجعل باقي التفاصيل لتتناسب مع كبر حبه وعظم اشتياقه حتى صار من أجمل التماثيل في الكوكب -عذرًا كوكب الأحلام - و أحب الوهم السراب و أحب السراب الوهم، وتشاطرا الطريق، كان كل شيء في الظلام داخل القلوب الكبيرة ولكن المنهكة التعبة ، كان الوهم أكثر استعجالًا من السراب ، فقال للوهم الكلمة التي ينتظرها كل عاشق ويحاول كل جهده ليسمعها مهما بلغت التضحيات حتى لو كانت نفسه

قال الوهم للسراب : أحبك.....

كاد السراب أن يتلاشى من فرحته طار في الجو وظن الناس أن عاصفة ستهب وكاد أن يقول للوهم ، وأنا ..لكنه سكت وشردت أفكاره ...احتار في أمره...هو- أي السراب- نفسه يحب الوهم كثيرًا ...هو معه دائمًا

كما صورته ..كما شكله المتمايل من بعيد كما الماء الذي ينساب منه ولا يراه إلا العطشان في الصحراء

شرد السراب كثيرًا ثم استفاق ..نظر بحنان إلى الوهم وغمره بكم هائل من المشاعر وقال له :

كيف تحبني ونحن ما نحن عليه؟

إن ما تقوله قد يغير تضاريس حياتنا فأنت وهم وأنا سراب ولا مجال لحبنا

بكى الوهم ، بكى السراب....وقررا أن يتلاشيا...

ولكن كيف لهما ذلك وهما متشابهان تشابهًا لا مثيل له بين خلق جميع الكواكب كيف لهما أن يتفرقا ويكاد الناظر لهما أن لا يفرق بين الوهم والسراب فاجتماعهما أبدي ولا يمكن أن يتفرقا

نظر كل منهما إلى الآخر نظرة حملت حب الدنيا كله ...وابتسما وأمسك كل منهما يد الآخر وسارا على درب طويل...يبكيان من الفرح ....ويبتسمان حبًا.

****

همومٌ

كان يحاول أن يشرح همه وكان شديد الانفعال .طويل القامة مستقيم الظهر
شعره أبيض بالكامل نظارته تعطيه هيبة أبيض الوجه أمرد، ثيابه أنيقة ...يتكلم تارة بسرعة وتارة ببطء يحرك يده اليمنى بشكل مستمر... أحكي لكم ما حصل معنا يوم الخميس الماضي:
أنا من سكان حي السبيل نسكن أنا وأخي في شقتين متقابلتين في الطابق الأخير....
وكنت في بيت أخي ألاعب ابنه الصغير كانت الساعة العاشرة وفجأة ؛ سمعنا صوت انفجار اكتشفنا فيما بعد أنها قذيفة أو جرة غاز .....
قطعت الأسلاك والأشرطة في الشوارع وجاءت بعض الشظايا على سطح بنايتنا
وقطعت رجل أحد خزانات الطاقة الشمسية وهبط الخزان ولم نعد نعرف
ماذا جرى أو ماذا حصل فوق ، بعدها نزلت أربع قذائف

بوقت واحد، تكسر زجاج النوافذ والأبواب في البيوت والشوارع وخاف الأولاد كثيرًا، يبكون ويصرخون خوفًا وهلعًا سمعنا من الأبنية المجاورة أصوات استغاثات واستشهد شابان بعمر الورد رحمهما الله

هذا حالنا كل يوم تأتينا قذيفتان أو ثلاثة معظم السيارات تكسرت ومعظم الأبنية تضررت يتساءل :

يا أخي: ألسنا مسلمين... أليس دم المسلم على المسلم حرام؟

يجيب نفسه:يا أخي المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه...

يقترب من صديقه هامسًا : أي ، كم قذيفة خربت نصف السبيل ؟

كيف حال الذين تنزل عليهم البراميل ..

كنت أنظر إليه فقط وهو يتكلم ...متوترًا قلقًا خائفًا يخاف أن تنزل قذيفة وتكون قريبة من بيته تكون نتائجها كارثية يكاد يبكي على الحال الذي وصل إليه البلد ..

لماذا هذاالقتال وهذه الحروب بين الأهل والأخوة ؟

من الذي أوصلنا لما نحن عليه الآن نحن ..العرب...إسرائيل ، أوروبا ..أميركا الكل متآمر علينا .

أدرت ظهري ومشيت وهو مستمر بحديثه اشتريت ربطة خبز ..بمئة ليرة واشتريت شبه طبخة وركبت السرفيس وأخذ صوت المعاون ينخر رأسي : مباشر مباشر مباشر إلى أين؟؟

****

الزيارةُ

بسم الله الرحمن الرحيم:
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء.
استقبلها، فتح لها الباب قبل أن تصل بوجه بشوش وابتسامة عريضة ولهفة واضحة ، استقر بهما الأمر في الصالون جلست على كرسي مفرد وجلس مقابلها محتفظًا بابتسامته مرحبًا بها مظهرًا فرحه وسروره بمجيئها..بالغ بالترحيب فأحست بالحرج والارتباك وشيء من الخجل أظهر روعة جمالها ...أحست بيديها ترتجفان فأخذت تمسكهما ببعضهما البعض وتقلبهما بحركة أقرب للعصبية ابتسامتها قلقة ...تهرب عيونها منه إلى أشياء أخرى خامرها هاجس من الخوف ..واستغربت من نفسها كيف تجرأت وجاءت إليه وهو الوحيد في بيته؟ولكنه هو استفزني عندما قلت له :
(ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما)
قال : إن الشيطان ليس أقوى منه وأنه أقوى من الشيطان.....كانت تبرر لنفسها..

بعد حديث الترحيب تكلما في أمور كثيرة عن الدنيا ومشاكلها والعمل والأصدقاء
والأهل وتطرقا بخجل إلى السياسة وهكذا كان هناك حديث خاص في داخل كل منهما ولكن كليهما يحبسه عن لسانه...هي تنتظره هو أن يبدأ..
وهو يغالب نفسه فقد وعد نفسه أن لا يتكلم اليوم بحديث القلوب..وصلا إلى لحظة فقدا القدرة على قول أي شيء في أي حديث..مرت ثواني أرادت أن تنقذ نفسها ، سألته عما إذا كان عنده طعام أسعفته بهذه الفكرة وجدها فرصة كبيرة..ليريح نفسه قال لها : عندي ولكن يلزمه تحضير ..تبرعت بالعمل فلم يعارض
تركها في المطبخ وخرج إلى غرفته ...عزلته المفتوحة ..مكانه الذي يقضي فيه معظم وقته البلكون...أحيانا يراقب كل شيء في الشارع وأغلب الأحيان يقرأ كتبًا متنوعة لا يلتزم بخط ما أبدًا هذه ...هذه المرة يقرأ رواية لأحد الكتاب تحكي وحشية الإنسان واعتدائه على الحيوان.
اقتحمت عزلته فطن أنها موجودة يا إلهي نسيتها ....
جلست بجانبه سألته ماذا يقرأ ..ابتسم وناولها الرواية ..قلبت المرأة الكتاب ..ثم وضعته جانبًا أحست بعزلته

فأرادت إعادته إليها :أتأكل ؟..
ابتسم ونهض وسارا هو أمامها
إلى غرفة الطعام جلسا متقابلين ...وبدآ الطعام...كان كل حديثه هو الثناء على طبخها وإعدادها الطعام..أما هي التي كان روعها قد هدأ مجرد أن دخلت المطبخ
أول مرة ..اطمأنت ..ولكن ينقص شيء ، بعد ذلك شربا الشاي وكررا بعض الأحاديث
أرادت استفزازه ..وبحركة سريعة أمسكت حقيبتها وقالت له : سأذهب الآن
سكت ولم ينبس ببنت شفة ..ثواني طلب منها البقاء فالوقت مبكر..قالت له :
لقد تأخرت
اختفى جزء من ابتسامته ..ولكنه استدرك ذلك الجزء وأعاده إلى فمه قائلًا :
رافقتك السلامة، شيء محيّر فكرت وأساءت الظن مشت إلى الباب بخطوات مترددة ..التفتت إليه استمر هو بابتسامته
وعندما خطت أول خطوة خارج البيت فاجأها قائلًا :أقرئيه السلام...

سألته بعفوية :من؟..ضحك وقال لها: ثالثهما....لم تتكلم فقط تابعت رحيلها

ذهب إلى عزلته أحس بالشقاء ..ولكنه فعل ما يريد..

كان مؤمنًا أننا نحن البشر من يفتح الباب للشيطان أن يكون ثالثنا أو ثانينا

أو أولنا ..فالخير موجود بداخلنا كما الشر ..ولكننا ساعدنا أنفسنا على الشر

فاقتتالنا فيما بيننا شر ..وعلاقاتنا التجارية يملؤها الشر وحتى علاقاتنا الاجتماعية فالشر يسكن الجميع ..حتى خطيب الجامع يسكنه شر...فهو يحفر بئرًا لا يبعد بضعة أمتار عن بئر آخر..طالبًا من المصلين التبرع بأرقام خيالية لإنجاز مشروع البئر هذا مثال ..وكل الشرور يديرها الشيطان ومساعدوه.

****

ليلٌ

كان يخفيه بكيس ويتلفت حوله وكأنه قد سرق شيئًا، كان حريصًا على أن لا يراه أحد استقر به الأمر إلى بضعة أمتار من (بيت الشعر) وضعه جانبًا مع حرصه على إسكاته جمع أحجارًا وبنى بيتًا صغيرًا بارتفاع قامته القصيرة ووضع فوق الحجارة قطع خيش كانت أمه قد استغنت عنها لعدم الحاجة أصبح لديه بيت مسقوف ..بقي عنده

مشكلة، ذهب إلى أمه وطلب منها حبلًا صغيرًا من بقايا حبال البيت ولم يجب عندما سألته عن السبب ومع ذلك أعطته ما يريد فهو غالٍ عندها هو وأخوه التوأم .

ربط طرف الحبل بأحد أوتاد بيت الشعر والطرف الثاني أحكم به رقبة الحيوان جرو صغير لونه أسود وديع جدًا ومسالم وغير مؤذ يلاعب الصبي وحتى عندما ربطه كان ينظر إليه نظرة طفل يريد أن يلعب وبهدوء أخرج (عمر) شفرة حادة من جيبه وبسرعة مدهشة قطع أذن الجرو وقبل أن يفيق الجرو من المفاجأة قطع الأذن الأخرى أخذ

الحيوان يعوي من الألم وغطت الدماء وجهه، أكمل عمر عمله وقطع ذيل الجرو وهو يكلمه ويقول له:
تتألم مرة واحدة خير من أن تتألم ثلاث مرات، ألم واحد أرحم لك بعد ذلك أخذ يعالج جراح الجرو المسكين المسالم الوديع ثم تركه بعد أن لف رأسه بقماش ثوبه القديم تركه يومًا كاملًا لم يقدم له شيئًا من الطعام ولا من الشراب فقط يجلس قربه يكلمه عن مستقبله وكيف سيكون الحارس الأمين على البيت من الغرباء وعلى المواشي من الذئاب وأنه ما قطع له أذنيه وذنبه إلا ليخلصه من نقاط الضعف لديه.
كان الجرو لا يزال مسالمًا ووديعا يتألم ويئن أنينًا حزينًا وينظر إلى (عمر) نظرة تودد وتوسل ليطلقه من قيده...
في صبيحة اليوم الثاني كان الجرو يحاول التخلص من وثاقه ينبح يركض يمينًا ثم يسارًا يشد الحبل ثم ينبح ...يريد العودة إلى أمه حيث تم اختطافه على غفلة منها....جاء (عمر) مبتسمًا، معه قطعة صغيرة من لحم الخروف الذي تم ذبحه قبل يوم، وقف أمام الجرو بحيث لا يصل
إليه وأخذ يلعب بقطعة اللحم ينقلها من يد لأخرى

..يرميها على الأرض ويحملها والجرو الوديع وليس المسالم يقفز في الهواء تارة ويرمي بنفسه إلى الأرض تارة أخرى..وينبح ...جائع ...بعد ذلك أخذ الجرو يتودد إلى (عمر) يجلس على بطنه يمد قوائمه الأمامية إلى الأمام ويحاول ملاطفة (عمر) وقبل الظهيرة فاز الجرو بقطعة اللحم، لم تشبعه ولكن أفضل من الجوع ، جلس (عمر)أمام الجرو يكلمه وقرر

أن يكون اسم الجرو -(ليل)-كان (عمر) فرحًا جدًا بهذا الاسم ولكن كان يجب أن يقدم له بعض النصائح وأهم نصيحة كانت أن يبتعد ما أمكن عن الأنثى ستسبب له الهلاك كما حدث لكلب صديقه (خلف)- حِمِر- (بكسر الحاء والميم) الذي هلك أثناء عملية التزاوج حيث أمسكته الكلبة مدة يومين وكان يعوي من الألم بعض الشباب أرادوا حل المشكلة بضرب الكلبة بالهراوات فأصيب -حمر- بضربة على رأسه ومات

مضى الوقت سريعًا على (عمر) وطويلًا جدًا على (ليل) بعد ذهاب (عمر) أعاد (ليل) محاولاته التخلص من قيده عند العصر لم يعد وديعًا ولا مسالمًا

صار نباحه أعلى صوتًا وحركته أكثر شراسة، عند المغرب

ازدادت شراسته لم ينم في الليل كثيرًا، صبيحة اليوم الثالث كان (ليل)شرسًا جدًا
الأطفال الذين تفرجوا عليه بالأمس لم يجرؤوا على الاقتراب وخافوا منه كان يهاجمهم ولكن قيده يمنعه من الفتك بهم..(ندوة) الصغيرة بكت من خوفها منه ولكن أختها (جميلة) كانت قريبة منها سحبتها إلى البيت ..
وعندما جاء (عمر) هدأ(ليل)وأخذ يلاطفه ويتمسح به، عاد وديعًا ، وبعد عذاب مرير أخذ لقمته واستمع إلى الدرس وغسل رأسه تمامًا من كل شيء قبل هذه الأيام الثلاثة وصار مطيعًا جدًا لعمر
في اليوم السادس أطلق سراح (ليل) في هذا اليوم مزق ثياب الراعي وهرب أمامه بعض المارين ولكن المسكينة الحاجة (أم خلف) لم تستطع الركض جلست على الأرض وهنا جاء (عمر) ناداه بصوت عالٍ (ليل)هدأ وذهبت المرأة وصار (ليل)الحارس الأمين للبيت والمطيع جدًا لعمر

****

الوشاحُ الأسودُ

تجوب السوق ذهابًا وإيابًا تنتقي الملابس لأولادها امرأة في عقدها الرابع تتشح بثياب سوداء تغطي كامل جسمها ذات قامة طويلة، كانت جميلة يرافقها فتى في إحدى سنين المراهقة الأولى، نحيل الجسم صغير الحجم يحاول أن يظهر للناس أنه كبير وأن حجمه ليس صغيرًا بالحقيقة كان حجمه إحدى العقد المركبة عنده فهو من جهة أقل حجمًا ممن هم من نفس عمره فيشعر بأنه أقل منهم قوة وصحة بحيث يخشى أن يمازح أحدهم بيديه لأنه وبصراحته يعرف النتيجه فهو الخاسر حتمًا لذلك يتجنب حتى اللعب معهم

أمه بعطفها عليه وحنانها اللامحدود كثيرًا ما تقول له مواسية :

المخلوقات الصغيرة هي التي تصنع الأشياء الكبيرة، يفرح بهذه الجملة كثيرًا يبتسم حتى الضحك، ترد له روحه فينتشي ويشعر بعظمته، يمشي بجوار أمه لا يتكلم يتحرك بحركتها عندما تتحرك يتحرك عندما تمشي يمشي تقف،

فيقف؛ يراقب حركة أمه يريدها أن تشتري له الأفضل ولكنه لا يطلب بلسانه فقط يصمت ،ينظر إليها تارة وهي تعاين هذا البنطال وتترك ذلك القميص وتعود للمحل السابق حيث رأت أشياء أعجبتها أكثر ثم تتركه إلى محل آخر وتارة يعاين معها ما تعاين ثم يختلس النظر إلى ثياب استبعدتها لسعرها المرتفع يعود لمتابعتها، وقفت عند وشاح أسود مع نقاط بيضاء تزينه أعجبها كثيرًا طال إمساكها بالوشاح لحظات إلى دقيقة ثم تركته وتابعت تجوالها مشت بينما وقف الفتى ينظر إلى الوشاح، نادته.. .تابع سيره خلف أمه وعينه تنظر إلى الوراء

انتهى التسوق وعادوا إلى البيت، الأم وزعت الأغراض على الأولاد، أخذ حصته

لم يهتم كثيرًا ..مازحته: هيييييه يا صغير الحجم، التفت إليها رأت في عينه دمعة تابعت :ألم يعجبك ؟

لم تكمل اندفع إليها واحتضنها..وبكى

كان ظن الجميع أن سبب بكائه هو عدم رضاه ....لم يبال بأحد من أخوته ولم يخبرهم بما يفكر فقط أراد أن يفعل شيئًا قد يرضي حبيبته ، أمه ..كان يقتطع مبلغًا من مصروفه الشخصي كل يوم ويدخره في مكان خاص بين

أشيائه ...صار موعد استيقاظه أبكر مما كان عليه وذهابه إلى المدرسة قبل الوقت المحدد ..وبذلك لكي يصل قبل موعد جرس المدرسة حيث أن المسافة إلى المدرسة تأخذ معه مدة نصف ساعة سيرًا على الأقدام، فيوفر ثمن تذكرة الحافلة يضيفه مع مدخراته ..

.اعتاد أن يضع في كل دفاتره تاريخًا واحدًا١ **21**آذار.

في هذا اليوم تأخر قليلًا..ألقى بكتبه على الطاولة، وجهه صارم ينظر لمن حوله بقوة يحمل بين يديه كيسًا صغيرًا لا يفصح عما يحتويه لأحد من أخوته الذين حاولوا كثيرًا أن يعرفوا..

بعد أن أنهت أعمالها المنزلية جلست الأم لترتاح، كعادته جلس بجانبها نظر إليها بتوسل وقال :أمي أحضرت لك هذه الهدية.

فرحتها كانت كبيرة جدًا ابتسمت وضحكت ثم بكت لم تكن هذه البهجة بسبب الهدية إنما فرحتها بابنها الذي تذكرها وأحضر لها شيئًا حلمت ذات لحظة به ، سعادتها كانت لا توصف، وسعادته أيضًا.

ذلك اليوم كان يومًا صغير الحجم.

هاجسٌ

تحاول بائسة لا تحمل أي معنى .. تائهة تسابق الريح إلى أفق داكن تحاول الاستقرار بآخر نقطة على حدود الغياب يستحيل الحلم إلى كوابيس نارية كحمم تندفع من فوهة بركان ، داخله ثائر مشتعل رغم الخمول الذي يرتسم على خدود باهتة ترهقها أحمال متثاقلة تنهال على عقله جلاميد صخر تهرس بعضًا من أحلامه
يختلط في داخله الكثير من الرغبة في استمرار البحث عن ثمرات أحلام، جاهد طوال عمره لإنجاز بعضها ..
وخوف لاح له من بين ضباب كلمات تناثرت كغبار من فم دكتور يخاصم المشاعر ، يتكلم عن أعراض مرض ولد داخله مع أيام شبابه ، يستنتج منها مستقبلًا تفوح منه روائح العجز ... تجتاحه أمواج رعب عندما يفكر بتنبؤات الدكتور يهرب إلى الأمام .. (سأوافق على إجراء العملية الجراحية رغم خطورتها)... يتمتم ..زادت خطاه سرعة
يحذر ألا ينظر إلى الخلف كي لا يرى مأساته المفترضة ..

يسير في غابة الحياة، تقلقه ظلال الأشجار التي تحجب الشمس .. يضيق نفسه من اكتظاظ الطريق بأوهامه . ييأس من الوصول إلى نهاية الطريق .. سئم الغابة ..اشتاق للفضاء .. فجأة أحس بيدها .. تمسك يده برفق تذكر أنها تمشي معه منذ بداية الألم .. ابتسم لها وابتسمت اختلطت فرحته بوجودها إلى جانبه مع إيمانه بقدرة ورحمة الله

****

أسلوبٌ

يتلصص من وراء النافذة عليهم يسمع أصواتهم ، يلتصق بالنافذة إلى أن تراه تغمزه بعينها الجميلة ،تبتسم له تومئ له أن تعال، ينفر يتراجع إلى الوراء ،يدير ظهره ،يمط شفتيه معلنًا الرفض ،تتابع المعلمة درسها مع الأطفال في صف الروضة التحضيري بأغنية عن الحروف ، يغنون جميعًا بصوت واحد هادئ رخيم يبدأ رأسه بالدوران ،يقترب ، يصغي بكل إحساسه، يدخل نظراته من خندق الباب الموارب، تتحرك شفتاه مع كلمات الأغنية ،بدون صوت ،يتواصل صوت الأطفال ،يتميز صوت المعلمة، ينتعش قلبه، ينتابه الانفعال ،بخجل شديد يرفع صوته ،يسمع نفسه ، يتفاعل الأطفال مع صوت المعلمة ،تتمازج أصواتهم مع صوتها الملائكي ، يزداد حماسه، يعلو صوته منفردًا من خلف الباب، تتوجه المعلمة إلى الباب تفتحه قائلة :

تفضل ... أين ذهب ؟في آخر الردهة

يركض..

يوم آخر يتكرر نفس الموقف نظرات مراقب متحفز قلبه يشتعل رغبة في الدخول إلى الصف ليشارك أقرانه الغناء والمرح مع معلمتهم ، وهذا الشيء العنيد في رأسه يمنعه مكابرة ... أفكاره منفردة ، أهله أغدقوا عليه دلالًا زائدًا في البيت هو الشخص المميز عن كل الأسرة ، وهو السوبر طفل ، حتى ترسخ في رأسه أنه مميز في كل مكان ، وعلى المعلمة أن تتوسله وترجوه للدخول إلى الصف ،

لكنها خيبت ظنه ،عاملته ببرود ، تكلمه بالإشارة ، إشارة من يدها أن ادخل ،يعلن رفضه بمط شفتيه، تهز كتفيها أن :

كما تريد ،...

حاول مرارًا لفت أنظارها ،بطرقات على الباب خفيفة ،أو على بلور النافذة ،لكنها لم تغير سياستها معه، تستمر بالغناء مع بلابلها الصغار.. تعلمهم الكلمات والحروف بطريقة يحبونها ويشعرون أنهم يمرحون .

كما تعلمهم سبل الحياة..... من طرق التعارف والتعاون بينهم ،وشعورهم ببعضهم .

هذا اليوم كان جميلًا ،دافئًا بأشعة الشمس التي تشارك الأطفال مرحهم ..فهي تختبئ أحيانا خلف الغيمات ،

وأحيانا كثيرة تظهر
ساطعة سطوع الحقيقة دافئة كما قلوب الأطفال البريئة
تزاحم الأطفال في الدخول إلى الصف وراءهم كانت
معلمتهم المحبوبة ، انتظرت حتى دخل جميع الأطفال، ثم
أرادت الدخول ولكن.. .
هناك من يزاحم رجليها بالدخول، تبسمت وفسحت له
مجالًا للدخول وكعادتها تبدأ حصتها بالمرور على الأطفال .
..تصافحهم طفلًا طفلًا، إلى أن وصلت عنده ..وقفت
أمامه مبتسمة ...عرفت عن نفسها
أنا الأستاذة مريم، ومدت يدها ، حرن قليلًا شفتاه
أصبحتا كالأسطوانة ،أطرق رأسه،
أعادت تعريفها بنفسها ..ألحت عليه ..
رأسه ارتفع وأنفه شمخ ..وأعطى لصوته خشونة زائدة
واستجمع كل قواه :
أنا أبو خالد ....
كسر حرف اللام بشدة، وحدق بقوة بوجه المعلمة التي
ابتسمت وقالت له :
أهلا أبا خالد ..
شارك بكل الأغاني .. حفظها بشكل جيد عندما كان

متواريًا وراء باب كبريائه الزائف ونمط حياته غير السليم الذي صار يتغير بالنسبة له ، فهو مميز وكذلك أخاه أيضًا مميز ، ورفاقه في الصف أيضًا مميزون عند أهلهم ..مثله تمامًا ..فصادقهم

صارت المعلمه بالنسبة له مثل أمه، .. عندما تكون في حصة لصف آخر يجعل طريقه من أمام ذلك الصف ليرفع لها بيده الصغيرة ، تبتسم له ..ويذهب إلى صفه مالكًا الدنيا

****

فانتازيا

قصةُ حبٍّ

قالت له :أحبك ..فأنت فارس أحلامي الذي أنتظر..
استغرب وتساءل:أنا؟
وكيف أكون فارس أحلام لجميلة مثلك؟
قالت له : كنت أحلم بك منذ أعوام.
صدقها وأقنع نفسه بشبابه رغم مرور السنين، صاغ لها قصائد كثيرة تمارس الغزل، وحكى لها حكايات الحب والغرام
وحكت له عن تفانيها بحبها له، أراد أن يجعل نتيجة حبه كما يجب...
ذهب إلى أهلها خاطبًا
قالت له: من أنت .؟
لا أحبك زوجًا أريدك حبيبًا أحلم به فقط فأنا ملك غيرك ، تلك الجثة كانت له يحملها على كتفيه طوال عمره حفر حفرة كبيرة وضع فيها جثته وأهال عليها التراب وكلماتها وصعد إلى السماء.

اشتقتُ لكَ عمّو

لم يجد أولاده في البيت تساءل ؟
ثم تذكر :نعم المدرسة ..هم في المدرسة
وأمهم كانت قد أخبرته أنها ستزور أمها أطلق زفرة طويلة وابتسم لوجوده وحيدًا في البيت...مد سجادة الصلاة ونادى الله أكبر متابعًا الصلاة ...
سمع صوت طرق خفيف على الباب ..ثم أصبح الصوت أعلى توقف الصوت لحظات
ثم تابع بشكل مستمر..أنهى صلاته وأسرع إلى الباب ظنًا منه أن أحد أولاده قد عاد من المدرسة فتح الباب وتسمر أمامه لحظة ثم رحب بالضيف:
أهلًا صالح...وتساءل في نفسه:
هذا الفتى الطيب كيف ولماذا جاء؟
بادره الشاب بابتسامة لطيفة :
مرحبًا عمو...كيف حالك؟
تلعثم الرجل وكرر ، الحمدلله الحمدلله تفضل إلى الداخل يا بني

ظهر بعض الارتباك على الرجل
فالزيارة لم يكن يتوقعها من هذا الشاب الرائع نظرًا لوضعه...
لقد كان صالح من أذكى الشباب وألمعهم ففي امتحان الثانوية العامة تخلّى طواعية عن ثلاث علامات ومع ذلك كان من الأوائل في المحافظة، دخل كلية الطب البشري كان علمًا في السنة الأولى شعلة من الذكاء
متوقدة نابغة عقله صاف لا يشكو شائبة ولكن كان معدله فقط\ 99\بالمائة
كان نبوغه محور أحاديث الأساتذة والدكاترة عن الطلاب، تابع نبوغه وتفوقه بالفصل الأول من السنة الثانية في الفصل الثاني ، كان محط أنظار أقرانه بالكلية..تابع مسيرته الظافرة وتألقه الباهر ولكن...
حدث في ساحة جامعة حلب..
كانت تحادثه عن الدراسة وحلمها بمتابعة دراستها حتى الدكتوراة وتحقيق
إنجازات علمية في مجال الطب و سقطت على الأرض سألها :ما بك؟ لم تجب

بل أجابت بركة من الدماء تشكلت تحت رأسها الذي اخترقته رصاصة تبحث عن ضمير مطلقها..انهار صالح وفقد السيطرة على عقله الذي هجره مؤقتًا أصابه ذهول لم يعد يحس بما حوله ولم يعد يعرف أحدًا !!صالح الذي كان منذ لحظات في قمة نبوغه أصبح الآن بلا نبوغ ..بلا هدف، دخل في مراحل العلاج وضاعت سنته الدراسية..

بعد عدة أشهر أقرب إلى السنة تعافى صالح نسبيًا وعاد من جديد إلى كلية

الطب متابعًا بعضًا من تألق كان قد هجره مؤقتًا..ونجح بتفوق كاد أن يرقى لتفوقه في السابق ، ثم كانت القشة التي حاولت كسر ظهر البعير..

ففي ذات يوم شؤم تم الاتصال بوالده الذي أخبر أهل بيته بالفاجعة التي وقعت نتيجة تفجير راح ضحيته العديد من الناس

وتقاطروا إلى المشفى، صالح وصل مع أبويه وبعد ذلك أعمامه وأقرباؤه واستلموا صندوقًا خشبيًا ..وفي غمرة الحزن وغياب التفكير وذهاب العقول إلى الفضاء جاء العم ونادى صالح :

صالح تعال ألق نظرة الوداع على أخيك.

نفس الدماء... نفس المنظر تكرر أمام صالح ، لم يعد يذكر شيئًا ..لم يعد يعرف أحدًا..غاب في ذهول طويل ..ودخل مرحلة علاج طويلة ..خلالها كان ينزوي في غرفته لا يخرج ولا يكلم أحدًا..لأنه كان يعتقد أن جميع الناس أعداؤه..

حتى أهله في البداية ثم ما لبث أن تعود على وجودهم معه في البيت .

وبعد أكثر من سنة أخذ يتعافى قليلًا وصار يكلم بعض الناس ومن بينهم صديق والده

أبو عمر الذي حاول الوصول إلى داخل الشاب ..ونجح..

انتبه لنفسه كرر :تفضل إلى الداخل نتحدث

قليلًا...اعتذر صالح بابتسامة

لطيفة قائلًا:لا ....أريد أن أذهب لأشتري حاجة.."عمو أبو عمر" أحببت أن أراك

فقد..... اشتقت لك عمو..

تردد صدى الجملة في عقل الرجل حتى كررها بلسانه :اشتقت لك عمو..!!

لم يتكلم ..ابتسم الشاب وذهب..

تلك الحرب المجنونة ماذا فعلت بنا..فقد أتت على الأخضر

والیابس وقتل مئات الآلاف وتشوه الملایین بتشوهات متفاوتة جسدیًا ونفسیًا ..وأخلاقیًا

جلس أبو عمر على كرسيه ينتظر عودة الأولاد من المدرسة ...هو أيضًا مصاب بتشوهات نفسية ...ينتفض ويقف لينادي :عمر ..أين أنت يا عمر؟

لن يجيبه أحد..وكيف يجيب من لم يكن موجودًا .

****

وأدٌ

صارم الوجه قاسٍ متجهم الملامح حزين.. يجلس على كرسيه المعتاد وسط ساحة الدار ، يطير ذهنه إلى الفضاء بكل شقاء وألم..!! لا يتكلم ولا يرد على من يحدثه، تحدق عيناه باتجاه واحد قد لايراه، شعره الأشعث غزته جحافل الشيب.

في وجهه الأجرد نبتت شعيرات متناثرة غير منتظمه لتزيد حالة البؤس إلى ذلك العبوس المخيم بشاعة

فجأة هب واقفًا بحث عنها حوله لم يجدها نادى بأعلى صوته :أين أنت يا أمي؟.

ثم تراءى له أنه يتذكر ..تمتم :

رحمك الله يا أمي...

ركب سيارته وانطلق باتجاه المشفى بعصبية وانفعال، يده على زامور السيارة

هو ليس على عجلة من أمره ، ولكن الغضب الذي امتلك عقله وسيطر على مقدراته جعله لا يجيد التصرف يلوم زوجته ويحملها المسؤولية كاملة فقد تجاوزت

الاتفاق بينهما وأخلّت به، يدمدم:
قلت لها لا أريد بنات..وها هي اليوم تنقض العهد و...تضع أنثى..!!!
وفوق ذلك لا تلد إلا بعملية قيصرية زيادة في التكاليف..!!
ضربتان على الرأس ، يتابع قيادة السيارة بتهور مما يزعج الكثير من المارة وأصحاب السيارات ..يزجره البعض و..يشتمه البعض الآخر، لا يرد على أحد ..فهو لا يسمع شيئًا.. بل لا يفهم أي كلمة تقال ..
وهو يشتم الدكتور الذي يظن أنه قد مارس عليه خداعًا ما عندما سأله عن جنس الجنين ..
حينها أجابه الدكتور بابتسامة :هي بنت ..
يومها أحس بأن الدكتور يشمت به فحدجه بنظرة قاسية وحتى الدكتور نفسه لا يعرف لماذا غير رأيه بسرعة وقال مستدركًا:
لا لا صبي صبي..نعم صبي..وأشاح بوجهه.
كان طول الطريق يضع خطط الانتقام من الدكتور المخادع ومن ثم زوجته التي خانته بحملها هذا الذي كانت نتيجته أن تلد :يا إلهي ..بنت ؟
ركن السيارة أمام المشفى وبقي داخلها مدة ليست

بالقصيرة ...أخيرًا ترجل واتجه إلى الداخل ..في بهو المشفى كانت زوجة أخيه التي جاءت مرافقة مع زوجته تقف تتكلم مع حرام صغير بحضنها وتبتسم النساء غبيات ، دمدم...

انتبهت المرأة ..فتقدمت منه ومدت يديها نحوه

قائلة:خذ..هذه ابنتك احملها.

أشاح بوجهه ملوحًا بيده رافضًا ..ثم اتجه إلى محاسبة المشفى ..ثم وكأنه تذكر أمرًا ..سأل زوجة أخيه : كيف حالها؟..

أجابته :هي بخير ولكنها لا تزال تحت تأثير المخدر...وهذه الطفلة بحاجة لأوكسجين أكمل باتجاه إدارة المشفى، عاد بعد عدة دقائق ..أشار للمرأة أن تحضر الطفلة

وتتبعه..ولكن بدهاء النساء وشيء من كيدهن طلبت منه أن يحمل الطفلة قليلًا من أجل أن تحضر شيئًا من الداخل فحدثت معجزة ..

فما أن أصبحت الطفلة بين يديه حتى انقلبت في عقله وضميره ووجدانه كل المفاهيم لديه ، أحس بكل حب الدنيا بين يديه

ضمها إلى صدره بحنان استغرب هو نفسه من أين جاءه

هذا الحنان ...قبلها وأذن في أذنها وعاد مرة أخرى يضمها إلى صدره ..

بل إلى قلبه ..شعر أنه هو قد ولد من جديد ..أحس أن حتى دمه الفاسد قد تغير وأصبح دمًا نقيًا ..

:أصبحت إنسانًا ..يا إلهي كم كنت تافهًا جاءت المرأة وطلبت منه الطفلة، استدار بجسمه كله عنها قائلًا:

لا... هذه ابنتي.. ابتسمت المرأة

ثم أصبحت هذه الطفلة سببًا لكل أفراحه وابتساماته وكثيرًا ما يقول لمعارفه :

من لم يرزقه الله بطفلة ..بنت ..لا يعرف معنى الأبوة الحقيقية..

وأد بقايا إرث كان معششًا ينخر رأسه أصبح إنسانًا سويًا هناك الكثير من الأفكار والمفاهيم تحتل جزءًا كبيرًا من عقولنا بحاجة إلى وأد.

****

ظنٌّ

كان على يقين من استنتاجاته لا يوجد غيره هو الوحيد الذي يمكنه معرفة هذه التفاصيل،ثم إن مهنته تسمح له بعمل أي شيء ... وكلام الضابط قائد المجموعة المقتحمه يوحي بدون أدنى شك بأنه هو ...يستذكر كلام الضابط حسب ما روته له أمه : ابنك كان هنا البارحة وسهر عند أخيه حتى الساعة الحادية عشرة ليلًا ..ثم ذهب إلى خارج المنطقة وعاد بعد ساعة

صعقت الأم ...تمتمت .: كيف عرف هذا الشخص ؟

تهمس باعتراف: هم مخابرات يعرفون كل شيء ..ولا يخفى عنهم أمر ..

بعد أشهر ثلاثة عاد إلى البيت استقبلته أمه بأحضانها وطلبت منه الهروب إلى مكان بعيد (فهم يأتون بشكل دوري يسألون عنك ..) تألم كثيرًا للخوف الذي أصاب قلب والدته وزوجته ولكنه عجز عن التوضيح لأمه أن تهمته سياسية وأن ما قام به هو فخر له ومصدر اعتزاز .. ولكن اهتمامه كان لأمر واحد فقط :كيف علموا ؟؟

مضت سنوات على تلك المحنة ولم ينس جاره الواشي ..يبتدع المشاكل التافهة معه يقاطعه ويطلب من الجميع مقاطعته يرفض مصالحته، يحكي الحكايا عن ذلك الواشي الذي سبب لأمه الذعر ولزوجته ولا يسميه باسمه، لا يريد الكشف عن استنتاجاته، هكذا كانت ظنونه مستمرة .

إلا أن الحقيقة أبت أن تبقى في دفاتر المجهول صدفة عابرة وحديث مخبر يتباهى، يكتشف براءة جاره ..وأن الواشي شخص آخر أبعد ما يكون عن الشبهة.

****

مطرٌ .. حبٌّ وتسوُّقٌ

خرجا من المقهى وتابعا حديثًا كان قد ابتدأ بينهما، السماء امتلأت بالغيوم الداكنة التي حجبت الشمس المسكينة التي لا حول لها ولا قوة وبدا أن هناك بوادر معركة ستدور رحاها بين الغيوم الغاضبة ، كان محمد يتكلم بجدية: بالنتيجة فإن المرأة لا تعترف إلا بالرجل الذي يملأ أذنيها بالكذب ويشبع رغبتها بالغزل ومعسول الكلام ولا تهتم بذلك الذي يحمل فكرًا فلسفيًا يجعله مبدأً لحياته

ببلاهة سأل زيد: ولكن ..ذلك الصادق الذي لا يعرف الكذب، أكيد المرأة تحترمه جدًا ويكون مثال حياتها..أليس كذلك؟

نظر محمد إلى زيد بحزم ثم ابتسم قائلًا : هذا الرجل المرأة لا تقيم له وزنًا لأنها لا تستطيع امتلاكه... ولن يكون كما تريد هي سكت زيد خاف أن يقول رأيًا آخر خاطئًا ولكنه استجمع أفكاره قائلًا:

ولكن المرأة تحب الذهب والمال أيضًا

ضحك محمد وتابع :الذهب ما هو إلا تجسيد للكذب فهو لا يستخدم إلا للزينة هل رأيت له استخدامًا آخر؟؟
فالذهب هو أكبر كذبة في التاريخ ..يلمع كالسراب ولا يجلب إلا النحس
ثارت الحرب بين الغيوم وابتدأت بقصف تمهيدي قصف طبيعي يدوي في السماء
تلمع القذائف بين الغيوم المتقاتلة ثم تهدأ النفوس، وترضى السماء فتجود على الأرض بزخات مطر...
أكمل محمد كلامه: النساء يتزين بالمعدن المقطوع من وجه القمر في حين أودعن قلوبهن في المعدن الآخر معدن الكذب والسراب والغواية
استمرت زخات المطر بغسل وجه الأرض وازداد تسارعها قليلًا...ابتلت ثيابهما وقفا تحت شجرة يتقيان خير السماء
بادر زيد قائلًا:كلامك صحيح ...فقد تذكرت قصة ذلك المسكين نبيل الذي أحب تلك المرأة
السمراء التي أقنعته بحبها، ظن أن الحب وحده يكفيه ليعيش مع حبيبته الغالية تلك التي كانت تريد الحياة معه ولو في خيمة كما قالت له ..وأن الحب سيعوض عن ضيق وضعه المادي بسبب أحوال البلد.. ولكن عندما

أراد أن يخطبها كانت المفاجأة الصادمة له أخبرته حقيقة أخرى

قالت له :هل تستطيع أن تؤمن لي الحياة الرغيدة فأنا أحب التسوق وأحب شراء الأشياء الجديدة كما أنني أحب الأكل الجاهز ولا أحب أن أطبخ في البيت

قال لها : نعم حبيبتي ولكن حسب إمكانياتي المادية

كانت هذه الجملة سبب غضبها ، اتهمته بالبخل والخداع لأنه لم يخبرها عن وضعه المادي حاول استرضاءها بكل الطرق وفشل وانكسر قلبه إلى الأبد...

اشتدت وتيرة المطر أراد محمد أن يستقل حافلته ، وقبل ذلك التفت إلى زيد قائلًا:وهل تسمي هذا حبًا ؟؟

بقي زيد في مكانه مع اشتداد المطر ،أخذ يفكر وتمتم:

حقًا إنه ليس حبًا ولكن أعتقد أن تلك المرأة نهيلة كانت تريد تأمين حياتها

ابتسم مسح المياه عن رأسه ووجهه وركب حافلته

****

مشهدٌ

شخصان، الأول رجل أربعيني بشعر أبيض ونظارة سوداء(الجليس)والثاني رجل مسن أطرافه تهتز..رأسه صحراء قاحلة يتبادلان الحديث على مقعد في حديقة من حدائق حلب، بالصدفة جلست على مقعد مقابل لهما..وسمعت بعضًا من حديثهما الذي كان متواصلًا أصلًا

المسن:أنا همي بقى أتجوز وأخلص عندي مصاري وعندي دهب .بس.

الجليس:وأين الذهب؟

المسن:إي يعني بدكياني أشيلو معي هو بالبيت.مانك مصدق إمشِ أفرجيك....

الجليس:إي اشتري بيت واتجوز بهالدهبات

المسن: عندي بيت فاضي كان هداك ساكن فيه وطلع راح راح مدري وين بس بس إل البيت.. في بيت

الجليس:إي والله عندك بيت وعندك مصاري لازم تتجوز

المسن:إي إي بس ..آآآآخ أختي ..أختي بنت حرام

الجليس:إي مو إنت بيرك عند أختك خليها تجوزك عالأقل تخفف عنها التعب

المسن:لا عمو لا ميسكة المصاري عندا وعم تصرف منن وعم تذلني ..أنا..أنا أنا كتير عم أنذل

خيو خليني أتجوز وأصطفل أنا ومرتي إلنا إلنا الله.. الله ما بيقطعنا

الجليس:(ينظر إلى ساعته)....وينك روح اتجوز

المسن:أختي. خيو أختي مو قلتلك بنت حرام ..معليش أختي وأنا بعرف ونحن عرضنا غالي هه...تعرف نحن عس....وعنّا الهداك ما بيسوى هديكة

فجأة يمر ثلاثة أولاد أحدهم يصيب الكرسي المتحرك للمسن فتثور ثائرته ويبدأ وصلة طويلة من السباب والشتائم للأولاد

وبعد أن هدأ تابع حديثه السابق قائلًا: يا ريت أتجوز... تركته ولم ينته حديثه ولا أظنه ينتهي ولسان حالي يقول:همِّ يضحّك و هم يبكّي.

****

المهرُ

رآها عندما كان ذاهبًا إلى بيت أحد أصدقائه دخل الحديقة ليختصر الطريق ..
كانت تمشي على عشب الحديقة ترافق جمعًا من الصبايا يتبادلن الأحاديث المرحة عرف ذلك من خلال الابتسامات والضحكات الخجولة التي سمعها وكأنه يسمع موسيقى أطربته..تلبس معطفًا طويلًا ورديًا ..صدرها نافر بارز لم يخفهِ المعطف شعرها الأسود الفاحم مضفور في جديلتين تنسدلان على صدرها لتهدئا بركانًا ثائرًا ، قامتها طويلة كمهرة إبل شامخة وعودها يميل إلى النحول كغزلان البادية ، في عينيها السوداوين الواسعتين فرح وبهجة...
لم يكمل طريقه ولم يرجع فقط تسمر في مكانه كجمل ربطه صاحبه في واحة أعجبته كثيرًا وداخله الوجد وأحس بالشقاءوأعراض العشق، كادت عيناه تتفجران دمعًا من شدة الوله، تماسك استند على جذع شجرة قريبة منه ثم استجمع قواه وقرر :

ستكون لي، أصبحت هذه البقعة من الحديقة أهم مكان في حياته فهي للنزهة ولمواعيده مع أصدقائه وهي قاعة المطالعه الخاصة به وكذلك لاستراحته

حتى شاءت الصدفة أن يلتقيها مرة أخرى استجمع قواه واقترب منها بهدوء الواجل المتردد الخائف من الصد ، بادرها بتحية لطيفة، هاجمهما السكون للحظات أحس بالانتظار والشقاء وضاقت به الدنيا..مرت بضعة ثوان كأنها دهر من الزمن...

ردت عليه التحية انفرجت أساريره ابتسم لا إراديا وتعارفا ثم بعد فترة قصيره خطبها من أهلها الذين وافقوا وأعلنوا شروطهم.

كانت فترة الخطبة مليئة باللقاءات بينهما وكانت الحديقة هي المكان الأثير لديهما

يجلسان على العشب يتحدثان في كل شيء ويصمتان طويلًا من أجل أن يفسحا المجال لروحيهما لتحلقا في فضاءات العشق والغرام، كان طلب أهلها ثقيلًا عليه نظرًا لظروفه الراهنة فيصمت طويلًا ولكن حبها ملك قلبه وسكنه وصادر روحه وهيمن على كل أحلامه وآماله أخبرها عن حياته كلها وعن نفسه الأبية وقدراته

الفريدة، لم يذكر لها أنه أعجز من أن يستطيع تلبية طلبات أهلها ، ذلك لأنه قرأ في بعض الكتب : أن المرأة لا تطيق عجزًا في الرجل وعلى الرجل أن يبقى أمام المرأة في موقف القادر وحتى إذا لم يكن قادرًا فعليه أن يدّعي القدرة...ويكذب

فالمرأة تغفر الكذب ولكنها لا تغفر العجز..

فكان عليه أن يتعلم بعض الكذب والكلام الحلو ليهمس في أذنها الوعود...

وكانت وعوده أكبر من قدراته بكثير ..فهو سيشتري لها مزرعة كبيرة في الريف تحوي كل أنواع الترف وسيشتري بيتًا فخمًا في المدينة لا تنقصه مظاهر الثراء وحدثها عن السيارات الثلاث واحدة لها وأخرى له والثالثة احتياط في كل لقاء يذكرّها بهذه الأسطورة إلى أن صدقها هو نفسه فأصبحت حقيقة في عقله، وراح يفكر في كيفية تحقيقها إلى أن وجد تحقيقها في السفر إلى بلاد بعيدة قد تكون خلف رمال الصحراء أو تكون وراء مياه البحار، أعد عدة السفر ودعها واعدًا إياها بالعودة السريعة والظافرة والنيل من كل الأحلام والأماني ....

وغاب في طريق المجهول..مازالت تنتظر عودته المظفرة ،

مازالت تجلس في الحديقه ولكن وحدها، تأمل أن يفاجئها بوجوده يقتحم قلبها الشوق فتبكي ليراودها من جديد الأمل بعودته فترسم بين الدموع ابتسامة على ثغرها في مشهد
يختصر كل شيء.

****

جاكيتٌ

كان يومها في دمشق يزور بعضًا من معارفه عندما استوقفه لونه وهيئته ،لبسه مباشرة بعد أن اشتراه، انتقده بعض الأصدقاء بسبب لونه ، لم يكن كما العادة يتسم بألوان معروفة ومتداولة بينهم ..

لون البرتقال أعجبه هو وحده ،لم يرد ولم يعقب على تلك الملاحظة التي وجهها له أبو عادل ذات مرة :

كُلْ ما تشتهي نفسك والبس ما يعجب الناس..

نظر إليه ببلادة وتجاهل المثل يحب الظهور به كثيرًا، ويحرص على نظافته .

صار عمره خمسة عشر عامًا عندما طلب من ابنته التي ولدت بنفس الفترة التي اشترى ذلك الجاكيت ..

:بنيتي اكوي لي الجاكيت ريثما أذهب إلى المشفى..

غادر بيته متجهًا إلى المشفى الكبير حيث زوجته المريضة، شكر الله كثيرًا وحمده على نجاتها من مرض مفاجئ وخطير أصابها، يبتسم ويتمتم (الحمدلله نجت)..

جلس إلى جوارها الوقت المسموح له ثم عاد إلى بيته

..يحمل على كاهله مزيدًا من الهموم ...
زوجته ..والأولاد. . ومتطلباتهم ..والبيت..
استقبلته بابتسامة أشبه بضحكة ..وكثيرًا من دلع البنات :بابا ..بابا ..بابا ....
يفرح قلبه كثيرًا ويرقص عندما تكلمه لكنه يتظاهر باللامبالاة ..
تابعت ابنته: بابا الجاكيت ..
التفت إليها مستفسرًا :هل كويتيه ؟؟
أجابته : بابا هذا الجاكيت لا يمكن كيّهُ
اندهش من كلامها: كيف ..دائمًا ما تكويه أمك ..
دخل غرفته ليجد الجاكيت مركونًا على الكرسي، حمله وطلب من ابنته المكواة .. لم تتحرك البنت من مكانها..
بسط الجاكيت على طاولة الكيّ ..نظر إليه ..وثار غاضبًا :
توارت البنت من أمامه ..جلست على الأريكة حزينة إلى أن هدأ قليلًا..
بررت : بابا أردت أن أكويه وبمجرد أن وضعت المكواة عليه ارتسمت عليه
(حرقت الجاكيت تلك الصغيرة) ..تمتم وهو يلج إلى غرفته ..جلس على كرسيه قليلًا ، شعر بتأنيب الضمير

،شعر أنه أخطأ بردة فعله، نظر في مرآة نفسه وجدها
صغيرة جدًا ، أخذه الضحك، علا صوت ضحكاته ،
صاحت البنت بفرح :
بابا يضحك وشاركته الضحك دخل ابنه الشاب مشاركًا
أبيه وأخته الضحك ..
مازالوا يضحكون ..كلما تذكروا..

****

إفطارٌ

ينتظر على ناصية الشارع ينظر إلى ساعة جوالهلم يبق الكثير..ساعة واحدة للأذان
فهو أول يوم من أيام شهر رمضان المبارك وهذا الصيف والنهار الطويل، اتصلت به وأخبرته أنها وصلت منذ يومين من تركيا حيث بقيت هناك قرابة الشهرين مع بناتها الثلاث، وذلك لزواج ابنتها الكبيرة من ابن خالها....وبعد انتهاء العرس واحتفالاته رجعت عبر طريق العذاب نفسه وأن هناك من أرسل بعض الحاجيات الخاصة له كان ينتظر هذا الاتصال من أجل الحصول على غرض خاص وغال جدًا عنده
لبس بسرعة وما هي إلا لحظات حتى كان يركب الحافلة متجهًا إلى منطقة الميدان
اقترب منه شاب أسمر يلبس لباسًا عسكريًا هل أنت العم أبو زيد؟...ابتسم :نعم أنا هو ...مد الشاب يده مصافحًا : أهلًا وسهلًا عموووو..تفضل ..
و...وصلا إلى بيت في نصفه قبو والنصف الثاني له إطلالة

بسيطة وذلك بسبب ميلان الأرض ، رحبت به مبتسمة : أهلين ..زوج خالتي ..كيف حالك ...بعد انتهاء حفلة الترحيب والأسئلة المتبادلة عن أخبار من كانت عندهم ..استأذن للانصراف..استنفرت المرأة واستنفر ابنها: كيف تذهب وأنت صائم وهذه أول زيارة لك وأقسموا عليه بالبقاء، رضخ لطلبهم بابتسامته التي وكأنه ولد بها، ابتسامة لا تفارقه أبدًا تعرف على أفراد العائلة بالإضافة للشاب العسكري هناك أخوه الكبير الذي قدموه على أساس أنه مريض نفسيًا وفاشل وصفات كثيرة بهذا الصدد لم يعترض الشاب على كلامهم ينقل نظره بين أمه وأخيه بابتسامة أقرب إلى ضحكة استغرب أبو زيد من سلبيته...وهناك فتاة شابة بالإضافة إلى فتاة صغيرة بعمر الورد طفلة صغيرة اقتربت من أبي زيد بينما أخوها العسكري يمدد خطًا كهربائيًا من المحولة المجاورة، يفشل ويكرر فشله بسبب اعتماده فكرة واحدة لا يريد تغييرها سألنه: عمووو هلتعرف لماذا تركيا جميلة وحلوة؟..بعفوية أخذ يتحدث عن طبيعة تلك البلد الخضرا ء وضحكت الصغيرة وقالت : لا عمووو ما تقوله غير صحيح هي جميلة وحلوة لأن ابنتك موجودة فيها

سكت الرجل كادت ابتسامته أن ترحل عن ثغره لم يتمالك نفسه احتضن الصغيرة وقبلها من جبينها...العسكري لم يفلح في عمله اقتربت منه أمه طالبة أن يضيء البيت بلمبة واحدة ثم في الغد يكمل، تجاهل كلام أمه وتابع محاولاته ذهبت المرأة إلى المطبخ وبدأت بتجهيز سفرة الإفطار ، مدت السفرة في غرفة الجلوس، ساعدتها ابنتها في نقل الصحون والطعام مرة أخرى اقتربت من ابنها مكررة نفس طلبها المشروع...ثار الشاب من طلب أمه ونظر إلى أمه بغضب شديد منتهرًا : إيييييه صرعتيني انقلعي من أمامي!!!!!!

تراجعت المرأة بضعة خطوات وقفت في زاوية الغرفة، تفرك يديها خجلًا تنظر إلى أبي زيد باستحياء الذي ابتسم لها محاولًا تخفيف الصدمة، غابت في المطبخ...

اقترب أذان المغرب فكان عليه أن يمارس عادته المحرجة أحيانًا ، غسل اليدين قبل الطعام، مشت معه الصغيرة إلى المطبخ اصطدم بشخص يضع منشفة على رأسه ووجهه ، بادره أبو زيد بابتسامة وتحية أجابه الشخص من وراء حجاب :

إي ..طيب ادخل إلى الغرفة أدخل

وكأنه لم يسمعه تابع إلى المغسلة؛ غسل يديه وعاد إلى غرفة الضيوف:

هذا أبي همست الصغيرة..صدح الشيخ بأذان المغرب..لم يكترث أحد لعسكري منهمك بالكهرباء وغاب الآخرون قدمت الصغيرة كأس ماء للعم أبي زيد ،الطعام مفروش على السفرة لا أحد يتقدم، يسمع أصواتًا مختلفة من جهة المطبخ ، يبدو أن شجارًا يحدث..؟؟بعد أقل من ساعة دخل رجل بلحية كثة تعوض صحراء قاحلة في أعلى الرأس متوسط القامة، في العقد السادس من عمره يتابع شجارًا مع ابنه المعاق

جلس إلى الطعام وأومأ إلى أبي زيد أن تفضل، تحرج الضيف قليلًا وكاد أن يرفض

لولا نظرة استعطاف من تلك المسكينة زوجته، تحلق الجميع حول سفرة الطعام وتابع الرجل كلامه القاسي لابنه الذي يتجاهل كل من حوله وكأن الحديث لا علاقة له به ، فقط يبتسم ..ويأكل ..بينما الأب يعدد كل أسماء الحيوانات التي يحفظها و أسماء بعض الأشياء القذرة لينعته بها.

كانت المرأة تلملم السفرة بعد أن أكل الجميع ، طلبت من

زوجها الابتعاد قليلًا كان هذا الطلب كافيًا لانفجار بركانه :أنت لا تفهمين، أنت غير محترمة انقلعي من أمامي وإلا... تابع تهديدات كثيرة ..مطعمة ببعض الشتائم المنتقاة...الجارحة جدًا أحس أبو زيد بالحرج، تململ انتبه الرجل لاذ بالصمت قليلًا غابت المرأة تمامًا تبعها زوجها، أكمل سيمفونيته في الداخل وعاد كالمنتشي بنصر في معركة كبرى وقف وسط الغرفة مقابلًا أبا زيد :

يا أخي أنا صريح وأحب الصراحة، أنا رافقت أهل الدين والعلم وتعلمت منهم الكثير يا أخي أنا أكره الاختلاط ...لأنه حرام.

أخيرًا فهم الضيف سر الثورة الهوجاء...شعر بالارتباك ...تابع ابتسامته قائلًا:

ولكن هنا لا يوجد اختلاط ..فزوجتك ابنة أخت زوجتي وهي وبناتها من المحرمات علي!!!

أجاب الرجل بانفعال : وإذا ماتت زوجتك؟

بهت أبو زيد ..ضاعت منه ابتسامته..حاول أن يبحث عنها ..لم يجدها..شعر بعبثية الحوار مع هذا الجاهل طلب أغراضه... استأذن بالانصراف..ألقى التحية ومشى وما هي إلا بضعة خطوات مشاها حتى كان يسير بجانبه

ذلك الذي أسموه معتوهًا
قال مواسيًا:.عموووو..لا تزعل هذا حال أبي ألم تلاحظ أنني أسمع شتائمه ولا أرد ..
إنه وأمثاله يخلطون الدين مع العادات والتقاليدوإذا حصل خلاف بين الدين وبين التقاليد أخذوا بالتقاليد وتركوا الدين .
من بين هؤلاء ينبت الفكر الهدام والحركات التي تجعل الدين مطية لأغراضها وشهواتها
وجد أبو زيد ابتسامته، احتضن الشاب وبكل حب ودعه وغاب بين الناس.

****

تقاسيمُ على أوتارِ الحياةِ

خرج من منزله ذي الأبواب السبعة المفتوحة على بعضها، متأنقًا ..

وجهه ودع موس الحلاقة قبل خروجه شعره القصير تركه للهواء بدون مشط الذي لا يحتاجه، وقف أمام بنايته ..وأحس بالسؤال يطرق رأسه إلى أين ؟ تمتم..سأذهب إلى النقابة..وأجلس مع الزملاء حيث نتجاذب أطراف أحاديث تردد، ولكن تلك الأحاديث مملة جدًا كما أن السير الشخصية لبعض الزملاء وبطولاتهم الوهمية لا تعنيني...

يعود السؤال للطرق على الرأس:

إلى أين؟؟ سأذهب إلى وسط المدينة

تردد ولكن ماذا سأفعل وسط المدينة..؟حيث ازدحام الناس بدون مبرر..والمدة الطويلة للذهاب وكذلك للإياب... إذًا لا مبرر للذهاب

هذه المرة السؤال يطرق بقوة أكثر ..يترنح مترددًا..هل يرجع إلى البيت ؟ولكن البيت سجن..وهو يريد أن

يتحرر من هذا الحبس الانفرادي البغيض، وفجأة لمعت برأسه فكرة...نعم .نعم إنه هو
دائمًا يعاتبني لماذا لا أذهب لعنده،هاهاها حانت لحظتك يا صديقي فأنا قادم إليك أخرج موبايله وبحث عن الاسم حتى وجده
ضغط بإبهامه بقوة على زر الاتصال انتظر لحظات وضع الهاتف على أذنه يبتسم: هههههه إنه يرن بالطرف الآخر ولكن لا أحد يرد، يبدو أنه نائم فصديقي هذا مثلي ومثل باقي حاملي هذه الشهادة اللعينة هههههه..
مهندسون..!!لا عمل لهم لأنهم ينشطون أيام البناء، ولكن هذه الأيام ليست أيام بناء، يتحسر ثم يزفر: أففففففففف
ولكنه يستدرك: أستغفر الله العظيم...
لا داعي لأن يركب الحافلات فالمكان قريب بالكثير (3)كيلومتر ..ثم إنه يريد أن يمارس هوايته بالمشي التي أهملها فترة طويلة من
الزمن ولعله يفيد عضلات جسمه وخاصة تلك العضلة المشاغبة داخل صدره ذات المزاج المتقلب، فتارة ترقص

مسرعة وتارة أخرى تبدو تعبه تتثاقل عليه تشده إلى الأرض فيكاد أن يقع..ولكنه يتماسك يعنّفها ويأمرها لتنظم خطواتها...فتكاد تمتثل لأمره أو هكذا يخيّل له..مشى مسافة ليست بالقصيرة يحارب الموبايل يضعه على أذنه ...يفرح لسماع رناته بالطرف الآخر ولكن ما من مجيب مازال نائمًا ذلك الكسول الساهر طوال الليل

يشاهد التلفاز..يتابع المشي..ولكن هذا الوضع غير مريح وسيئ سأحاول أن أجد عَمَلًا مهما كلف الأمر ..سأقبل عرض أبي عبدو

سيارته جديدة وجميلة والعمل عليها ممتع ..نعم ..نعم سأعمل سائق تكسي أجرة...ولكن المردود القليل والتعب ووجع الظهر، وهناك أناس التعامل معهم صعب وموضوع مرض السكر ...إذن، لا لا لا

هذا العمل صعب علي ماديًا ومعنويًا سأبحث عن عمل آخر

يكاد يصل يخرج الموبايل ويعيد نفس الحركات بما فيها الابتسامةالتي تخص سماع الرنات في الطرف الآخر...مازال نائمًا

سأدخل المسجد وأصلي، بعد الصلاة تابع سيره مسافة قريبة، صعد البناء الذي يسكنه صديقه...بعد ضربه للباب عدة ضربات خفيفة انشق طرف الباب وسمع صوتًا نسائيًا : من؟..صاح بصوت
أعلى من الهمس وأخفض من الصراخ متسائلا:أبو أحمد؟..
أجابه الصوت النسائي من خلف الباب: أبو أحمد ذهب لعند صديقه أبي عمر وقد نسي موبايله بالبيت..وأغلق الباب...
ظل واقفًا لا يكاد يصدق ذهب لعندي ؟وأنا جئت لعنده، يبدو أنه يحس بالفراغ والخواء مثلي بسبب ما نعيشه ويعيشه البلد أزمة فرضت علينا.

****

مواقفُ

مشهدٌ مسرحيٌ

تفتح الستارة ...رجل يجلس جانب طاولة يلف رجلًا على أخرى يشرب أرجيلة بلامبالاة لما يجري حوله ،هو أبو اصطيف.. فجأة يدخل المجال شخص متوتر يلتفت حوله حالة الهيجان بادية على كل حركاته ..هو أبو عادل

أبو عادل : كيف حالك أبا اصطيف ؟

هل سمعت بآخر الأخبار ؟

ينظر إليه أبو اصطيف ببرود ..ينفث الدخان عاليًا:ماذا جرى ؟

أبو عادل (منفعلًا) : فصائل المعارضة أخذوا مناطق جديدة .. الله اكبر

سيسقط النظام قريبًا ..

أبو اصطيف : هههه ولماذا أنت مسرور لهذه الدرجة

أبو عادل : طبعًا سأفرح لأننا سنتخلص من هذا النظام الفاسد ..

أبو اصطيف : وكيف عرفت أنه فاسد ؟؟

أبو عادل :(يقترب من أبي اصطيف) كيف تقول هذا الكلام والقاصي والداني يعرف فساده وإجرامه ؟

ينهض أبو اصطيف يترك النارجيلة

يمسك ذراع أبي عادل : وأنت ما هو موقفك الحقيقي؟

أبو عادل (واثقًا) :طبعًا أنا مع المعارضة ضد النظام ...

أبو اصطيف : طيب تعال اجلس لنتناقش قليلًا في هذا الموضوع ..

يجلس الرجلان ..يبادر أبو اصطيف : ولكن هل تخبرني ما نوعية فصائل المعارضة هذه ؟

أبو عادل : كلها إسلامية ..وأنا أستبشر بها لتعود دولة الإسلام قوية ..

أبو اصطيف :يعني سيطبقون حدود الشريعة الإسلامية ..

أبو عادل :بلا شك ..

أبو اصطيف :طبعًا سيسألون كل من يملك أموالًا من أين جمعت هذه الأموال .. ؟

أبو عادل

أبو اصطيف :وسيحاسبون الناس وكل من لا يثبت أن ماله قد جمعه بالحلال ستقطع يده أو على الأقل تصادر أمواله

أبو عادل (يفكر ..يهرش رأسه ..ينظر بغباء إلى أبي

اصطيف) ..
يتابع أبو اصطيف : وأنا وأنت نعرف كيف جمعنا أموالنا (يغمز بعينه غمزة كبيرة)
أبو عادل . (ينهار) يا ويلي ...
أبو اصطيف : والآن ما هو موقفك الحقيقي يا أبا عادل ؟
أبو عادل (يبدأ بصوت هامس) :سيعود النظام بقوة ويقضي على هؤلاء المسلحين المرتزقة ..ويقتلهم ..
أبو اصطيف (ضاحكا) : هههههههه لا يا صديقي نحن مصلحتنا مع النظام ولكن بنفس الوقت نخاف أن تنتصر المعارضة لا سمح الله .لذلك علينا بالمواقف الرمادية يعني نحن قلوبنا مع النظام ..نفرح لانتصاره ولكن إذا انتصرت المعارضة نرفع حجتنا الداحضة وهي أننا كنا نخاف من النظام ولانجرؤ أن نفعل شيئًا للثورة وبهذه الطريقة ..نضمن رضا النظام ونضمن تعاطف الثوريين معنا
أبو عادل : كم أنت رجل داهية . ..(يقترب من أبي اصطيف ويقرر)
سينتصر النظام لا محالة
يضحكان عاليًا تسدل الستارة.

نعماتُ

تلك الأيام كنا نسافر إلى لبنان نحن كشباب لعدة أسباب وكل سبب قائم بذاته فالبعض يذهب للعمل والبعض الآخر يذهب للسياحة وما شابه والبعض يذهب للدراسة والبعض يذهب هروبًا من
واقع اجتماعي أو غيره ..وهناك أسباب كثيرة أخرى خاصة أو عامة وكان لي سببي لأسافر إلى لبنان، بداية الثمانينات كنت شابًا أحمل في رأسي فكر الصعاليك ورغم حجم جسمي الصغير إلا أن عنترة يسكن قلبي وسكنت بيروت عشقي الثاني بعد حلب، ومازالت لها هذه المكانة...وتنقلت بين مناطقها الغربية والغربية..والتصقت بطلاب جامعة بيروت العربية التي كان معظم طلابها من الأردنيين و السوريين
وخاصة أهل حلب...و كان منهم صديق الطفولة أحمد هلال.
حيث بادرني ذات يوم أن أنتقل للسكن معهم عند عثمان ..قلت ومن عثمان ؟أجابني ستراه وستحبه كان

الكلام شبه مزح
عثمان رجل خمسيني العمر..متوسط القامة ...متوسط الصحة شعره على أطراف رأسه أبيض ..يحاول إعادة توزيع الإنتاج
بتحميل شعره من الأطراف إلى القمة الخالية تمامًا من الشعرمبتسم دائمًا مهووس بالأخبار ..الراديو والتلفاز اختصاصه هو ..وفقط هو ..يفهم في كل شيء وحده يثق كثيرًا بنفسه..
سألني عثمان: كم تقدر عمري ..يا ولد؟قلت ماذا ..ولد ؟ قال لي ضاحكًا :لا لا أقصد ولكن حجمك الصغير أوحى إلي وأنا آسف يا رجل وضحكنا وسكنت عند عثمان ..وأحببت عثمان وكنا نناديه أحيانًا...سيلفر..للشبه بين الحالتين.فكلاهما كالنسر..
ولكن نلاحظ أن عثمان يختفي مع التلفون ويهمس كثيرًا في السماعة
كنا نتساءل ولا نسأله مع من يتكلم عثمان..
وحدها الحاجة أم عثمان تعرف سر ابنها
وبإلحاح الأطفال وكثرة السؤال عرفنا سر عثمان ومع من كان يتكلم ؛ نعمات.. تلك المرأة المجهولة كانت فرحة

عثمان...

خمس سنوات يتواصل مع نعمات على الهاتف فقط لم يرها ولم تره....

تحدثا في كل شيء....وعاشا حبًا فريدًا من نوعه....على الهاتف

نعمات امرأة مصرية جاءت إلى لبنان تبحث عن ابن لها..غيبته الحرب الأهلية في لبنان يتابع عثمان ساخرًا:وكذلك

غيبت ساقي هذه الحرب اللعينة.

مرت سنة أخرى ومازال عثمان يهمس للهاتف...فيبتسم تارة ويعبس أخرى

كنت أقول له لا تصدق النساء يكذبن كثيرًا...أصدق واحدة نسبة الكذب عندها

50\100 يغضب مني عثمان ..وكثيرًا ما يقول لي:

اذهب يا ولد شوف شغلك....

وذات يوم كنت عائدًا إلى البيت وبمجرد أن فتحت الباب إذا بعثمان يرشني

عطرًا ..ابتسمت وقلت له :شكرًا هذا من لطفك ضحك

عثمان قائلًا :

كيف هي رائحته هل هي جيدة ؟ قلت :نعم ..ضحك وكرر: بلى.....

إلى أين يا عثمان؟...كالعادة لم يرد ..بل ابتسم ابتسامة ..كأنني أول مرة

أراه يبتسم...استغربت..وتوجهت إلى الحاجة أم عثمان..سألتها ...

أخيرًا ..عثمان سيلتقي نعمات...كانت فرحته لا توصف مهما حاولت أن أصفها

كان يلبس ثيابًا جديدة ...وحذاء بفردتين!!!!!كانت عنده ساق خشبية..

قبل أن يذهب قال لي :أسمعت الأخبار يا ولد؟ ضحكت وقلت: لا....تابع قائلًا : قررت إسرائيل أن تدخل إلى لبنان لمسافة **41** كيلو مترًا يعني وسط بيروت

انتفضت وأجبته جواب الواثق المخدوع:خسئوا...ستردهم الجيوش العربية إلى تل أبيب ...بل إلى البحر....

ضحك عثمان.ضحك كثيرًا وخرج من المنزل وهو يضحك عاليًا..سمعته قال :

أيها الولد..الجاهل
كانت نعمات بنظر عثمان امرأة جميلة جدًا ويضيف أنها فاتنة لا يترك مناسبة دون أن يذكر اسمها...كانت حلمه...كانت كل آماله... ولكن عثمان لم يتزوج أبدًا...ولم يعرف أحدًا
نعمات ، ترى هل كانت نسج خيال أم كانت حلمًا من أحلام عثمان أم هي قصة حب حقيقية... ؟
تركت بيروت ..ولم أرجع إليها منذ أن اعتدت عليها إسرائيل...وكنت
أسأل عن عثمان باستمرار....رحم الله عثمان.

****

طريقُ البرازيلِ

سورُ الصينِ

فرح مسرور ، يكاد يرقص بل يظن الناظر إليه أنه سيقفز في الهواء اغتباطًا كان يحس أنه يطير في الفضاء على جناحين وقلبه يكاد ينفجر بالسحر والشجن والفرح الخفي ، مبتسم لا يستطيع رفع الابتسامة عن فمه ، يكاد يكلم نفسه...

يمشي مختالًا لا يكاد يرى أحدًا من حوله

يتدلى من أذنيه شريطان بيضاوان إلى حيث موبايله، يبدو أنه يستمع إلى أغنية ما، يردد كلمات الأغنية ويهز رأسه طربًا أسرته الموسيقى فعاش رهين الرقص والوجد والشوق، يعترض طريقه أحد معارف أبيه ..سأله ملوحًا بيديه:

إلى أين يا عمر؟؟

يرفع سماعة الموبايل عن أذنه يصافح الرجل مبتسمًا، تغمره الفرحة:

سأذهب إليها استغرب الرجل لكنه بادر عمر بسؤال:

أتعرف طريق البرازيل؟..طريق صعب..
غاب الرجل في زحمة الناس وعمر بقي واقفًا يتمتم :ما بال العم هل هو مريض
إنه يهذي ..ما علاقة البرازيل بها؟
ما هي إلا ربع ساعة وأصل إليها !!
تابع سيره وحاول العودة إلى حالته السابقة غرس السماعة في أذنه
انتبه إلى عدد الناس الذي بدأ يتناقص شيء خارج عن المعهود
لم يعد يصادف الكثير منهم، ولا حتى القليل، بضعة أشخاص بعدد أصابع اليد الواحدة ، استغرب، أين الناس هل توقفوا
عن الذهاب إلى هناك؟ البارحة كان الشارع مزدحمًا ، ماذا جرى ؟
تابع سيره وقد أحس ببعض الخوف والرهبة رفع السماعات عن أذنيه..خبأ الموبايل في جيوبه تابع سيره وصل البوابة لا يوجد غير بعض العسكريين أخذ الرعب منه مأخذًا.. وقف مكانه لم يستطع التقدم ..وخاف من العودة..تقدم منه أحد

العسكريين وبلباقة ولطف أفهمه أن البوابة قد أغلقت وعليه العودة ، لم ينبس ببنت شفة فقط استدار وعاد أدراجه و راح يتمتم: يارب ماذا جرى كان علي فقط أن أعبر الشارع فأصل إلى حبيبتي منطقتي حارتي ، بيتنا وما أدراك ما بيتنا ..فقط أن أعبر الشارع....يا إلهي..

شعر باليأس والشقاء والعجز وأحس بتباطؤ دقات قلبه...

جمهرة من الناس يتحادثون وقف جانبهم يسترق السمع ..كان حديثهم

عن كيفية الوصول إلى هناك ..وعن طريق البرازيل إلى سور الصين

تابع عائدًا تكاد دموعه تمزق عينيه..وقرر الذهاب إليها على طريق البرازيل---سور الصين

****

أوراقٌ صفراءُ

طريقُ الأوهامِ والكلابِ

وصل إلى مدينته بعد أذان العصر لا يعرف الوقت بالتحديد فهو لا يمتلك ساعة التي هي أحد أحلامه الموعود بها بعد نتيجة
الشهادة الإعدادية....لم يجد أحدًا في البيت المغلق أخبره ابن عمه أن أهله في قرية جلاغيم..
كان على تخوم مدينته عندما أذن المغرب أصابه بعض الارتباك وتردد ثم قرر متابعة المسير..وهو يحسب حسابات كثيرة رعب خوف، قلق ورغبة في رؤية أمه وأخوته يتذكر قصة رواها المرحوم والده عن البيت المهجور والذي كان يسمع منه أصوات غناء ورقص وأهازيج ..تختفي مجرد أن يدخل أحد ما البيت ..وها هو البيت مسافة قصيرة ويصل ..سيمر بقربه، ولكن ماذا سيفعل؟ اقترب بكثير من الخوف وما أن صار قريبًا جدًا من البيت المهجور انطلق بسرعة كبيرة فقطع مسافة

100 متر بأقل من **10**ثوانٍ ، وقف أخذ نفسًا عميقًا وتابع مسيره...التفت يمينًا ، شعر برهبة كبيرة يا إلهي إنه تل أحمر الذي دائمًا ما يسمع المارون بقربه من أغاني الجنيات

كان القمر يؤانسه قليلًا ويقهر الظلام فيكشف له الطريق الترابي الممتد أمامه خيل إليه أنه سمع غناء الجنيات اقشعر جسده..أحس أن كل شعر جسده قد انتصب واقفًا ..أخذ يمسح رأسه ليسبل شعره ...ركض ..تذكر البسملة والتعوذ من الشيطان الرجيم الذي يكفي ذكره لترتجف جميع أطرافه من الخوف والهلع ..أخذ يكرر المعوذات ..والبسملة ..وتابع سيره فقد وصل نقطة لا يستطيع الرجوع إلى المدينة ...اقترب من جبلة الرأس..وهي عبارة عن امتداد لجبل الحص لمسافة(**5**)كيلومترات وبعرض (**1**)كيلومترًا

ينتهي بقمة تطل على سهول مدينة السفيرة ومزارعها حيث تمتد هذه السهول

بشكل لوحة مزركشه وملونة..تختلف ألوانها بألوان المزروعات شرقًا إلى بحيرة الجبول مرورًا بقرى خربرش

والقبتين وأم عامود وأبو جرين ..وغيرها
تنتشر بعض البيوت الصغيرة المتواضعة في المزارع وغالبًا لا تكون مسكونة
ليلًا ..أما جبلة الرأس فهي جرداء غير مزروعة ، ينسج الكثير من القصص حول الضباع التي تسكن هذه الجبلة منها ما يقال أن الضبع يبول على ذيله ثم يرش بها وجه ضحيته التي تصبح منومة مغناطيسيًا وتلحق الضبع آليًا إلى المكان الذي يلتهم فيه ضحاياه....
ماذا يفعل ؟قرر أن يرفع صوته بالغناء ..أي غناء..المهم أن يعلو صوته ، ليقول للضبع أنه غير خائف منه ...كان تارة يدير وجهه لليمين باتجاه جبلة الرأس ويغني بصوت عالٍ ..ولا يهمه نشاز صوته...وتارة أخرى يلتفت إلى يساره حيث السهول يناجي (الشيخ براق)الذي يتوسط مزاره هذه السهول أن يحميه ويحفظه ليصل سالمًا تارة يغني ..وأخرى يتوسل المزار..
أخيرًا تجاوز الخطر الذي كان يظنه ويظهر امتنانه لصاحب المزار الذي يظن أنه أوصله إلى قارب النجاة، اكتشف بعد سنين أنه كم كان ساذجًا

أصبحت جلاغيم أمامه بحدود (1)كم ويصل... فرح كثيرًا وأسرع الخطى..

إلى أن وصل إلى أطراف القرية الصغيرة المتواضعة ، ولكن كان ينتظره ما لم يكن بحسبانه، إنها الكلاب التي هجمت عليه بكل شراسة..خاف كثيرًا ومن شدة خوفه وقع على الأرض وبقي على وضعه كقطعة لحم صغيرة ..ولكن ما أدهشه أن الكلاب سكتت وقفت حوله وحاصرته..

يا إلهي لقد عرفت الكلاب أنه استسلم فلم تهاجمه، كم هي نبيلة هذه الكلاب على صوت الكلاب كان أن انتبه بعض الناس

طردوا الكلاب تابع معهم سيره إلى حيث أمه التي فرحت كثيرًا به وخافت جدًا عليه كيف تجرأ على هذه الرحلة.. ؟ أخذت تقبله وتضمه إلى صدرها وتبكي وتتمتم هذا الغالي هذا العبيدي

أما هو فقد اكتشف أن الإنسان أحيانًا يكون خوفه غير مبرر من بعض الأمور ، وأن هذا الخوف نابع من معتقداته التي دائمًا ما تكون وهمية.

فانتازيا

الحبُّ والموتُ

الهرج والمرج كثير في المضافة والأحاديث متشعبة عن بطولات ومآثر وأخلاق الفقيد
الذي قتل على يد أحد الأقرباء بعد أن نشبت خلافات ...كانت بسيطة وأصبحت مع مرور الزمن عميقة ولم يتدخل أحد لحل ما توالد من الخلافات ..
كان واجمًا لا يتكلم كعادته منذ سنوات لا يكاد يعرف ما يجري من حوله لا يجيب
على أي سؤال إلا إذا كان سؤالًا ملحًّا دائم العبوس في هذه السنوات الأخيرة
لسبب لا يعرفه أحد يتذكره أهله وأقاربه وكل من يعرفه كيف كان حديثه السلس
وأسلوبه الرائع فيجبر سامعيه للإنصات والإصغاء..كانت لديه كل الحجج لإقناع
من يحاورهم ...كان متكلمًا بارعًا...ولا يعرف الناس من حوله سر انقلابه هذا وسكوته غير المبرر..

وفي غمرة الصخب دخل المضافة شخص يلبس لباس الدراويش..ألوان خضراء عمامة خضراء
ألقى التحية ..(السلام عليكم)لم يرد عليه أحد بقي واقفًا بالباب ينظر في الوجوه...
الى أن وصلت نظراته إلى (أبي أوس)تبادلا النظرات وبعد سكوت رد عليه السلام هو فقط؛ (وعليكم السلام)لم يفكر لماذا لم يرد أحد...اقترب الدرويش وجلس أمام (أبي أوس)..
الذي كان ينظر إليه بدهشة عندها رغب بالكلام أحب أن يتحدث أراد أن يقول أي شيء، لم يمهله الدرويش أمسك بيده بحنان وهمس له (هبة الله تقرؤك السلام وهي مشتاقة لك)..
وقعت الجملة في قلبه ..شعر بها تسري في كل أجزائه ببريق وومیض نسيته عيناه منذ زمن طويل كاد أن ينتفض لمعت عيناه لكن يد الدرويش الهادئة والحنونة منعته رآه البعض يبتسم لأول مرة منذ زمن، منهم من ابتسم لحاله محاولًا اخفاء ابتسامته، ومنهم من حزن وأصابه الهلع عليه، لم يتحرك أحد ..انتظروا....
أحس بيد الدرويش اللطيفة تعطيه كل ذكرياته ...تذكر

(هبة الله)تلك المرأة الجميلة الشاعرة المتكلمة التي أحبها من قبل أن يراها...التقاها في أحد منعطفات الحياة، ذلك المنعطف الذي يلتقي فيه الناس عند منتصف الذاكرة جانب مبنى الأمل، قرب أسوار الحلم كانت تبحث عن صبي لها ، كان عنده الصبي أحبها حبًا كبيرًا، وبادلته الحب ..عاشا قصة حب فريدة من نوعها...عاش كل منهما بعيدًا عن الآخر، وعاش كل منهما في قلب الآخر، كانا يتكلمان لغة واحدة ..كان كلامهما متطابقًا رغم المسافات بينهما لا يفكر أي منهما بشيء إلا وكان الآخر يفكر بالأمر نفسه..

كانا متشابهين بكل شيء وكان حبهما ينمو باستمرار وحلمهما يكبر كل لحظة إلى أن جاءه ذلك الخبر...ماتت (هبة الله) تعددت الروايات بكيفية موتها، فمنهم من يقول أنها قتلت في إحدى غزوات أبناء البلد بين بعضهم ...ومنهم من يقول الصاعقة البشرية قتلتها...ومنهم من يقول ..لم تمت ولكن هاجرت إلى بلاد الهجرة واللجوء وروايات كثيرة.....ولكنه علم أن لها قبرًا زاره ذات يوم ...ذلك اليوم الذي أعلن فيه سكوته واختار فيه الصمت.

انتبه (أبو أوس)إلى أحد الشباب دخل إلى المضافة وكاد أن

يمشي فوق الدرويش
رفع يده أن انتبه ستصيب الرجل ابتسم الدرويش وهمس :لن يراني أحد غيرك....
هنا أدرك (أبو أوس)أن هذه هي لحظة الحقيقة شعر بالرهبة ورقصت أطرافه
هلعًا ورعبًا وأسقط في يده نظر إلى الدرويش قائلًا: هل أنت...؟
أومأ الدرويش برأسه قائلًا :
نعم هو أنا منفذ المشيئة الإلهية، هيا بنا..
نهضا معًا..وسارا نحو الباب لم ينتبه أحد من الموجودين لنهوضهما أو خروجهما
التفت (أبو أوس)خلف فرأى بقيته.....نظر إلى الدرويش بتساؤل، الذي أجابه قبل
أن يتكلم :
يدفنون هذه البقية ويقولون أنك قد مت ولكنهم لا يعلمون أنك الآن بدأت الحياة..
سبحا في الهواء ..متجهين إلى هناك..حيث قمة الأمل عند جبل الحقيقة تحت ظلال الرحمة...هناك رآها واقفة تنتظره..بكامل بهائها وجمالها ..مبتسمة كعادتها تناديه

إلى حضنها الذي اشتاق له كثيرًا..رأى مدينة جميلة تشبه كثيرًا مدينته، بل هي بعينها، يا إلهي شكرًا لك هذه مدينتي التي ضاعت ، وهؤلاء أناسها الطيبون المحبون هي بكل رونقها
أمسك يدها ..وأمسكت يده ..وارتمى في أحضانها.

****

مسافرةٌ

منهمكة تفتح الحقائب تضع شيئًا هنا وآخر هناك
تروح وتغدو تحمل شيئًا تنظر إليه تدمدم:لا لا هذا لا يلزم نفس الشيء تحمله ثم ترميه عدة مرات ...أتابعها أنا ، أحاول التكلم معها تتجاهلني
ثم تنظر إلي وتقول :لن آخذك معي، أنا سأذهب إلى البلاد البعيدة سأتركك هنا ستأخذ كل أشيائي، سأترك الكثير
أبتسم بدوري ابتسامة المحاول ثني الآخر....وأقول :حبيبتي، لماذا تتركينني هنا وحدي ...لماذا لا تأخذينني معك فأنا ، أنا ترفع إصبعها وتلوح به على اليمين وعلى الشمال قائلة:
قلت لك لا..لن آخذك.
تذهب إلى أشيائها تجمعها في زاوية ثم تنقلها إلى زاوية أخرى، أداعبها قائلًا: حبيبتي هل ستأخذين كل هذه الأشياء معك ؟
ترد علي بنبرة حادة :نعم...ولن آخذك معي إلى تلك البلاد
أتصنّع البكاء ..أغطي وجهي بكلتا يدي، وأصدر صوت

بكاء، يرق قلبها الصغير الكبير، تقبل يدي تزيحمها عن وجهي
تحضنني، تبكي، وتقول:
لا لا لا تزعل حبيبي سآخذك معي وأعطيك عشرة أحضنها وأقبلها ونرجع نضحك

****

محتويات الكتاب	
رحلةالسلحفاة	3
طريق السلحفاة	10
الوداع	13
جدار الظلام	17
قارب مثقوب	21
دائرة مفرغة	24
أزمير3 سرقات	28
بلم	33
في المحطة	39
رحيل	42
قلب	45
صخب الصمت	47

أبو زيد	51
الأمل	55
خواء	60
بوبجي	64
الحور العين	67
المطارد	71
صفقة	75
شيش بيش	77
تأبط حبا	81
حارس	84
هواجس الانتظار	86
هواجس2صمت الحلم	89
جبران خاطر	92

كلاب	96
قيادة	99
يوم قيامة	101
تعايش سلمي	104
رهبة	109
حب وفيس بوك	112
الباب والنائم	116
حافية	119
هما	122
هموم	125
الزيارة	128
ليل	132
الوشاح الأسود	136

هاجس	139
أسلوب	141
فانتازيا قصة حب	145
اشتقت لك عمو	146
وأد	151
ظن	155
مطر حب وتسوق	157
مشهد	160
المهر	162
جاكيت	166
إفطار	169
تقاسيم على أوتار الحياة	175
مواقف مشهد مسرحي	179

نعمات	182
طريق البرازيل	187
أوراق صفراء	190
فانتازيا الحب والموت	194
مسافرة	199
محتويات الكتاب	201

تم بحمد الله

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر